أم القرى

للسيد الفراتى

وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الاسلامية

المنعقد فى مكة المكرمة سنة ١٣١٦

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة المصرية بالأزهر

١٣٥٠ هجرية — ١٩٣١ ميلادية

ايها الواقف على هذه المذكرات

إعلم أنها سلسلة قياس لايغنى أولها عن آخرها شيئا وأنها حلقات معان مرتبطة مترقية لايغنى تصفحها عن تتبعها فان كنت من أمة الهداية وفيك نشأة حياة ودين وشمة مروءة فلا تعجل بالنقد حتى تستوفى مطالعتها وتعى الفواتح والخواتم ثم شأنك ورأيك . أما إذا كنت من أمة التقليد وأسراء الأوهام بعيدا عن التبصر لاتحب أن تدرى من أنت وفى اى طريق تسير وماحق دينك ونفسك عليك وإلى ماذا تصير فتأثرت من كشف الحقائق ودبيب النصائح وشعرت بعار الانحطاط وثقل الواجبات فلم تطق تتبع المطالعة وتحكيم العقل والنقل فى المقدمات والنتائج فأناشدك الاهمال الذى ألفناه أن تطرح هذه المذكرات إلى غيرك ليرى فيها رايه ؟

السيد الفراتى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المخلوقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الأولين وعلى أتباعهم فى مسالكهم إلى يوم الدين .

أما بعد فأقول وأنا هو الرحالة المتكنى بالسيد الفراتى : انه لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عم فيه الخلل والضعف كافة المسلمين وكان من سنة الله فى خلقه أن جعل لكل شىء سبباً فلا بد لهذا الخلل الطارىء والضعف النازل من أسباب ظاهرية غير سر القدر الخفى عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم فى ذلك فى بعض

الجرائد الاسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء فى هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر مالاح لى فى حل هـذا المشكل العظيم .

ثم بدا لى أن أسعى فى توسيع هذا المسعي بعقد جمعية من سراة الاسلام فى مهد الهداية «أعنى مكة المكرمة » فعقدت العزيمة متوكلا على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية(١) لاستطلاع الأفكار وتهيئة الاجتماع فى موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطنى أحد مدن الفرات فى أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف وكلى ألسن تنشد

دراك فمن يدلف لعمرى يدفن ... وما نافع نوح متى قيل قدفنى
دراك فان الدين قد زال عزه ... وكان عزيزا قبل ذا غير هين
فكان له أهل يوفون حقه ... بهدى وتلقين وحسن تلقن
الى م وأهل العلم أحلاس بيتهم ... أما صار فرضا رأب هذا التوهن
هلموا إلى بذل التعاون إنه ... باهماله إثم على كل مؤمن
هلمو إلى (أم القرى) وتآمروا ... ولا تقنطوا من روع رب مهيمن
فان الذى شادته الاسياف قبلكم ... هو اليوم لايحتاج الا لألسن

---

(١) لان العرب وحدهم أولياء هذا الأمر وهذا الدين كما سيفصل

فأتيت بلدة لاأسميها وماأطلت المقام فيها حيث وجدتها كما وصف أختها أبو الطيب بقوله

ولم أر مثل جيرانى ومثلى   لمثلى عند مثلهمو مقام
بأرض مااشتهيت رأيت فيها   فليس يفوتها الا كرام

فخرجت منها سالكا الطريق البحرى من اسكندرون معرجاً على بيروت فدمشق ثم يافا فالقدس ثم جئت اسكندرية فمصر ثم من السويس يممت الحديدة فصنعاء فعدن ومنها قصدت عمان فالكويت ومنها رجعت إلى البصرة ومنها الى حائل [1] إلى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام على مكة المكرمة فوصلتها فى أوائل ذى القعدة فوجدت أكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها قد سبقونى بموافاتها . وما انتصف الشهر وهو موعد التلاقى الا وقدم الباقون ماعدا الأديب البيروتى الذى حرمنا القدر ملاقاته لسبب أنبأنا عنه فعذرناه .

وفى أثناء انتظارنا منتصف الشهر سعيت مع بعض الاخوان الوافدين فى تحرى وتخير اثنى عشر عضواً أيضاً لأجل اضافتهم للجمعية وهم من مراكش وتونس والقسطنطينية وبغجة سراى وتفليس

---

(١) قاعدة امارة نجد أى بلاد ابن الرشيد

وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودهلى وكلكتة وليفربول .

وإذ كنت المباشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لى داراً فى حى متطرف فى مكة مناسبة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ومع ذلك استاجرتها باسم بواب داغستانى روسى لتكون مصونة من التعرض رعاية للاحتياط . وقد انعقد من منتصف الشهر الى سلخه اثنا عشر اجتماعاً غير اجتماع الوداع جرت فيها مذكرات مهمة صار ضبطها وتسجيلها بكمال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات والمقررات غير ما آثرت الجمعية كتمه كما سيشار اليه

الاجتماع الاول

يوم الاثنين خامس عشر ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الاولى وأعضاؤها اثنان وعشرون فاضلا كلهم يحسنون العربية فبعد أن عرفت كلا منهم لباقى اخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنين وعشرين قائمة ميثات

قبلا مطبوعات بمطبعة (الجلاتين) التى استعرتها من تاجر هندى فى مكة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً فى نسخ القائمة مختصراً تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية المخصوصة وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التى يحتاج الاخوان لاستعمالها وأعضاء الجمعية هم . (٦٦٣٥٥٨٤٥٢٢ ٥٢٦٤٣٣٢٣٢٧٤٠٤٩١٩٨٦٧٥٦٢٣٣٢١٤٤٣١٣٨١٥١٢٧٩٨١٢١٧ ٨٤١٣٢٥٩٣٦٥٧٢٧٨٣) وأعنى بذلك ، السيد الفراتى ، والفاضل الشامى ، البليغ القدسى ، الكامل الاسكندرى ، العلامة المصرى ، المحدث اليمنى ، الحافظ البصرى ، العالم النجدى ، المحقق المدنى ، الأستاذ المكى ، الحكيم التونسى ، المرشد الفاسى ، السعيد الانكليزى ، المولى الرومى ، الرياضى الكردى ، المجتهد التبريزى ، العارف التاتارى ، الخطيب القازانى ، المدقق التركى ، الفقيه الافغانى ، الصاحب الهندى ، الشيخ السندى ، الامام الصينى .

ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الاخوة التى يعرفونها منى من قبل وهى (لا نعبد إلا الله) مسترعياً سمعهم وخاطبتهم بقولى من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد فى اعلاء كلمة الله والأمانة لاخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد

والأمانة) ومن كان لايطيق العهد فليعتزلنا وماجال نظرى فيهم إلا وسارع الذى عن يمينى الى عقد العهد ثم الذى يليه ثم وثم الى آخرهم

ثم التمست منهم أن ينتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذاكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل المقررات فأجابنى العلامة المصرى ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فأنا أترك الانتخاب لك وما أتم رأيه هذا الا وأجمع الكل على ذلك فحينئذ أعلنت لهم أنى أتخير للرئاسة الأستاذ المكى وأتخير نفسى لخدمة الكتابة تفادياً عن اتعاب غيرى فى الخدمة التى يمكننى القيام بها واستأذنت الأفاضل الاعجام منهم بنوع من التصرف فى تحرير بعض ألفاظهم فأظهر الجميع الرضاء والتصويب وصرح الأستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكوت ترقباً لما يقول الرئيس .

أما (الأستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال الحمد لله عالم السر والنجوى الذى جمعنا على توحيده ودينه وأمرنا بالتعاون على البر والتقوى والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شورى

بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم إياك نعبد لانخضع لغيرك و إياك نستعين لاننتظر نفعاً من سواك و لانخشى ضراً اهدنا الصراط المستقيم الذى لاخفيات ولاثنيات فيه صراط الذين أنعمت عليهم بنعمة الهداية إلى التوحيد غير المغضوب عليهم بمـا أشركوا ولا الضالين بعدما اهتدوا سبحانك ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا .

وبعد فياأيها السادات الكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من سابق مفاوضات أخينا السيد الفراتى الذى أجبنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه .

ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتنشيط همتكم وتأجيج حميتكم لأننا كلنا فى هـذا العناء سواء ولكن أذكركم بخلاصة تاريخ هذه المسئلة فأقول .

ان مسئلة تقهقر الاسلام بنت ألف عام أو أكثر وماحفظ عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية الامتانة الأساس مع انحطاط الأمم السائرة عن المسلمين فى كل الشؤون الى أن فاقتنا بعض الأمم فى العلوم والفنون المنورة للمدارك فربت قوتها فنشرت نفوذها على أكثر البـلاد والعباد من مسلمين وغيرهم ولم يزل المسلمون فى سباتهم الى أن استولى الشلل على كل أطراف جسم المملكة الاسلامية

وقرب الخطر من القلب أعنى (جزيرة العرب) فتنبهت أفكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووفقهم لنيل أجر المجاهدين فهبوا ينشرون المواعظ والتذكرة والمباحث المنذرة فكثر المتنبهون وتحركت الخواطر لكنها حركة متحيرة الوجه ضائعة القوة فعسى الله أن يرشد جمعيتنا للتوصل لتوحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة.

وبتدقيق النشريات والمقالات التى جادت بها أقلام الفضلاء فى هذا الموضوع ترى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية فقط

الأول منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديعاً يفيد التأثر ويدعو إلى التدبر على أن ذلك لايلبث الاعشية أو ضحاها .

والثانى بيان أن سبب الخلل النازل هو الجهل الشامل بيان إجمال وتلميح مع أن المقام يقتضى عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح

والثالث انذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها انذاراً هائلا تطير منه النفوس مع أن الحال الواقع لاتغنى فيه النذر .

والرابع توجيه اللوم والتبعة على الأمراء والعلماء والكافة لتقاعدهم عن استعمال قوة الاتفاق على النهضة مع أن الاتفاق وهم متشاكسون متعذر لامتعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من أنواع النتائج الاساليب وآن أوان استثمارها وذلك لايتم اذا لم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً مدققاً سياسياً بالبحث أولا عن مراكز المرض ثم عن جراثيمه ليتعين بعد ذلك الدواء الشافى الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالتنقيب ثانياً عن تدبير أدخاله فى جسم الأمة بحكمة تصرع العناد والوهم وتتغلب على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم أظنكم أيها السادة تستحسنون الاكتتام الذى اختاره أكثر هؤلاء الكتاب الأفاضل لأن لذلك محسنات بل موجبات شتى ينبغى أن تستعملها جميعنا أيضاً فلنحرص كلنا على الاكتتام لأن من موجباته التزام كل منا المشرب العمرى أعنى القول الصريح فى النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة لأن حياء المريض مهلكة وكتم الأمر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياء فى الدين . ومن موجبات الاكتتام أيضا أن كل مايخالج الفكر فى موضوع مسألتنا معروف عند الأكثرين ولكن بصورة مشتتة والناس فيه على أقسام فصنف العلماء اما جبناء يهابون الخوض فيه واما مراؤن مداجون يأبون أن تخالف أقوالهم أحوالهم

وباقى الناس يأنفون أن يذعنوا لنصح ناصح صادع غير معصوم ولذلك كان القول من غير معرفة القائل أرعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع .

ثم يا أيها الاخوان أظنكم كذلك تستصوبون أن نترك جانبا اختلاف المذاهب التى نحن متبعوها تقليدا فلا نعرف مآخذ كثير من أحكامها وأن نعتمد مانعلم من صريح الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكيلا نتفرق فى الآراء وليكون مانقرره مقبولا عند جميع أهل القبلة اذ أن مذهب السلف هو الأصل الذى لايرد ولا تستنكف الأمة أن ترجع اليه وتجتمع عليه فى بعض أمهات المسائل لأن فى ذلك التساوى بين المذاهب فلا يثقل على أحد نبذ تقليد أحد الأئمة فى مسألة تخالف المتبادر من نص الكتاب العزيز أوتباين صريح السنة الثابتة فى مدونات الصدر الأول .

ولايكبر هذا الرأى على البعض منكم فما هو برأى حادث بين المسلمين بل جميع أهل جزيرة العرب ماعدا أخلاط الحرمين على هذا الرأى ولايخفى عليكم أن أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين الى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة وغالبهم الحنابلة أوالزيدية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهله وحملته وحافظوه وحماته وقلما

خالطوا الأغيار أو وجدت فيهم دواعى الأغراب والتفنن فى الدين لأجل الفخار [١] ولا يعظمن على البعض منكم أيضا أنه كيف يسوغ لأحدناأن يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد العهد و يترك تقليد من يعرف أنه أفضل منه وأجمع علماً وأ كثر احاطة واحتياطاً .

ولاأظن أن فينا من ليس فى نفسه اشكال عظيم فى تحرى من هو الأعلم من بين الأئمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهمة بينهم مابين نفى واثبات حتى فى كثير من الأمور التعبدية الفعلية التى مأخذها المشاهدة المتكررة ألوف مرات مثل هل كان النبى عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم الرضوان يصلون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين وهل كانوا يقنتون فى الوتر أم فى الصبح وهل كان المؤتمون يقرؤن أم ينصتون وهل كانوا يرفعون الأيدى عند تكبيرات الانتقال أم لا يرفعون وهل يعقدون الأيدى أم يرسلونها فاذا كان الأئمة والعلماء الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف فى تحقيق كيفية عبادة فعلية هى عماد الدين أعنى الصلاة التى هى من المشهودات المتكررات وتؤدى بالجموع والجماهير فكيف يكون شأنهم فى الأحكام التى تستند الى قول أو فعل

---

(١) سيأتى فى أواخر السجل بحث مشبع فى مزايا العرب

أوسكوت صدر عن النبي صلى الله عليـه وسلم مرة اومرات فقط ورواها فرد أوأفراد .

فعلى هذا . لا أرى من مانع أن نترك النقول المتخالفة خصوصا منها المتعلق بالبعض القليل من الاصول ونجتمع على الرجوع الى مانفهمه من النصوص أو مايتحقق عنـدنا حسب طاقتنا انه جرى عليه السلف وبذلك تتحد وجهتنا ويتسنى لنا الاتفاق على تقرير مانقرره ويقوى الأمل فى قبول الأمة منا ماندعوها اليه .

وانى أسلفكم أيها السادات أنه ينبغى أن لايهولنا ماينبسط فى جمعيتنا من تفاقم أسباب الضعف والفتور كيلا نيأس من روح الله وأن لانتوهم الاصابة فى قول من قال اننا أمة ميتة فلا ترجى حياتنا كما لااصابة فى قول من قال اذا نزل الضعف فى دولة أوأمة لايرتفع فهذه الرومان واليونان والأمريكان والطليان واليابان وغيرها كلها أمم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمـام الضعف وفقد كل اللوازم الأدبية للحياة السياسية بل ليس بيننا ولاسيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة فرق سوى فى العلم والأخلاق العالية على أن مدة حضانة العلم عشرون عاما فقط ومدة حضانة الأخلاق أربعون سنة .

فعلينا أن نثق بعناية الله الذى لايعبد سواه وبهذا الدين المبين الذى نشر لواء عزه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الالهى دينا حنيفا متيناً محكما مكيناً لايفضله ولايقاربه دين من الأديان فى الحكمة والنظام ورسوخ البنيان .

ثم أيقنوا أيها الاخوان أن الأمر ميسور وأن ظواهر الأسباب ودلائل الأقدار مبشرة أن الزمان قد استدار ونشأ فى الاسلام أنجاب أحرار وحكماء أبرار يعد واحدهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن تخرق طبل حزب الشيطان وتسترعى سمع الأمة مهما كانت فى رقاد عميق وتقودها الى النشاط وان كانت فى فتور مستحكم عتيق على أن محض انعقاد جمعيتنا هذه لمن أعظم تلك المبشرات خصوصا اذا وفقها الله تعالى بعنايته لتأسيس جمعية قانونية منتظمة لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلا يفى بمالا يفى به عمر الواحد الفرد وتأتى بأعمالها كلها بعزائم صادقة لايفسدها التردد وهذا هو سر ما ورد فى الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالعظائم وتأتى بالعجائب وهذا هو سر نشأة الأمم الغربية وهذا هو سر النجاح فى كل الأعمال المهمة لأن سنة الله فى خلقه أن كل أمر كليا

كان أوجزئيا لايحصل الا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته وأن كل أمر يحصل بقوة قليلة فى زمان طويل يكون أحكم وأرسخ وأطول عمرا مما اذا حصل بمزيد قوة فى زمان قصير وكلنا يعلم أن مسألتنا أعظم من أن يقوبها عمرانسان لا ينقطع أو مسلك سلطان لا يطرد أو قوة عصبية حضرية حمقاء تفور سريعا وتغور سريعا .

واذا تفكرنا أن مبدأ أعظم الأعداد اثنان فذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم تتزايد حتى تكمل وتتقلب أشكالا حتى ترسخ فعلى هذا لا يبعد أن يتم لنا انعقاد جمعية منتظمة تنعقد الآمال بناصيتها . ولا ينبغى الاسترسال مع الوهم الى أن الجمعيات معرضة فى شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولاسيما اذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب (الاكاديميات) أى المجامع العلمية تحت حماية رسمية بل الأليق بالحكمة والحزم الاقدام والثبات وتوقع الخير الى أن يتم المطلوب .

هذا وان شرقنا مشرق العظائم والزمان أبو العجائب وما على الله بعزيز أن يتم لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهورى اذا نادى مؤذنها حى على الفلاح فى رأس الرجاء يبلغ أقصى الصين صداه

ومن المأمول أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حاميةلها ولو بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض بالأمة من

وهدة الجهالة وترقى بها فى معارج المعارف متباعدة عن كل صبغة سياسية وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد.

ولنبدأ الآن بتشخيص داء الفتور المستولى على الأمة تشخيصاً سياسياً مدققاً فارجوكم أيها السادة أن يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور ليبين رأيه ومايفتح به عليه فى اجتماعاتنا التى نواليها كل يوم ماعدا يومى الثلاثاء والجمعة من بعد طلوع الشمس بساعة إلى قبيل الظهر أعنى إلى مابعد مثل هذا الوقت بساعة فنفتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذكرات التى جرت فى الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات.

وانى أختم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التى تدور عليها مذكرات جمعيتنا وينبغى لكل منا أن يفتكر فيها ويدرسها وهى عشر مسائل

(١) موضع الداء

(٢) أعراض الداء

(٣) جراثيم الداء

(٤) ماهو الداء

(٥) ماهى وسائل استعمال الدواء

(٦) ماهى الاسلامية

(٧) كيف يكون التدين بالاسلامية
(٨) ماهو الشرك الخفى
(٩) كيف تقاوم البدع
(١٠) قانون لتأسيس جمعية تعليمية

ولما انتهى خطاب الأستاذ الرئيس وانتهت الجلسة قال السيد الفراقى : إنى أرى أن يقيد كل منا هذه المسائل العشر فى جانب من ورقة التراجم ليكون القيد تذكرة له فخف أربعة منهم نحو المكتبة وأخذ كل قلماً وقيد فهرست المسائل ثم توالى الباقون على ذلك وعند ما فرغوا من التحرير خاطبهم السيد الفراقى بقوله . إنى أغتنم تشريفكم الأول لمحلى وسيلة لضيافتكم وقد أعددت مايتسهل اعداده لغريب مثلى فى مثل هذه البلدة المباركة ثم خرج بهم إلى محل المائدة وكان حديثهم على الطعام استقصاء أخبار مهتدى ليفربول من السعيد الانكليزى وبعد أن طعموا عرض عليهم الشاى والقهوة والشراب المثلوج فكل اختار ما ألف وأحب ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى مجيبين دعوة خير الدعاة اذ كان قد دنا وقت الصلاة .

الاجتماع الثانى

يوم الأربعاء سابع عشر ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع وبعد قراءة ضبط الجلسة الأولى افتتح الكلام الأستاذ الرئيس فقال إنا نجد الباحثين فى الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرض فيطلقون عليها اسم الداء مجرداً أو مع وصفه بالدفين أو المزمن أو العضال ولعل مأخذ ذلك ما ورد فى الاثر وألفته الاسماع من تشبيه المسلمين بالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى . ويلوح لى أن إطلاق الفتور العام أليق بأن يكون عنواناً لهذا البحث لتعلق الحالة النازلة بالأدبيات أكثر منها بالماديات ولأن آخر ما فيها ضعف الحس فيناسبه التعبير عنه بالفتور .

كما أن هذا الفتور فى الحقيقة شامل لكافة أعضاء الجسم الاسلامى فيناسب أن يوصف بالعام وربما يتوقف الفكر فى الوهلة الأولى عند الحكم بأن الفتور عام يشمل كافة المسلمين ولكن بعد التدقيق والاستقراء نجده شاملا للجميع فى مشارق الأرض ومغاربها لا يسلم منه الا أفراد شاذة .

فيا أيها السادة ماهو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين

من أى قوم كانوا وأينما وجدوا وكيفما كانت شؤنهم الدينية أو السياسية أو الافرادية أو المعاشية حتى اننا لانكاد نجد اقليمين متجاورين أو ناحيتين فى اقليم أو قريتين فى ناحية أو بيتين فى قرية أهل أحدهما مسلمون والآخر غير مسلمين الاونجد المسلمين أقل من جيرانهم نشاطاً وانتظاما فى جميع شؤنهم الحيوية الذاتية والعمومية وكذلك نجدهم أقل اتقانا من نظرائهم فى كل فن وصنعة مع أننا نرى أكثر المسلمين فى الحواضر وجميعهم فى البوادى محافظين على تميزهم عن غيرهم من جيرانهم ومخالطيهم فى أمهات المزايا الأخلاقية مثل الأمانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب تعمم هذا الفتور وملازمته لجامعة هذا الدين كملازمة العلة للمعلول بحيث أينما وجدت الاسلامية وجد هذا الداء حتى توهم كثير من الحكماء أن الاسلام والنظام لايجتمعان هذا هو المشكل العظيم الذى يجب على جمعيتنا البحث فيه أولا بحث تدقيق واستقراء عسى أن نهتدى الى جرثومة الداء عن يقين فنسعى فى مقاومتها حتى إذا ارتفعت العلة برىء العليل ان شاء الله تعالى

قال الفاضل الشامى : انى أوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه وتوصيفه الحالة النازلة بالفتور كما انى لا أعلم مايعارض كون هذا الفتور عاما محيطا بجميع المسلمين .

قال الصاحب الهندى : انى وان كنت أقل الاخوان فضيلة ولكننى جوال وقد خبرت البلاد وأحوال العباد ولاشك عندى فى أن هذا الفتور عام وان كان لايظهر فى بعض المواضع التى ليس فيها غير المسلمين كأواسط جزيرة العرب وبعض جهات إفريقيا ولايظهر أيضا فى بعض مواقع أخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل النحل الوثنية الغريبة الوضع المتناهية فى الشدة كبقايا الصابئة حول دجلة الذين يضيعون كثيرا من أوقاتهم منغمسين فى الماء تعبدا وكالكونغو من الزنوج وكالبوذية من الهنود المعتقدين أن كل مصائبهم حتى الموت الطبيعى من تأثيرات أعمال السحرة عندهم فان أمثال هؤلاء أكثر فتورا من المسلمين على أن ذلك لايرفع صفة الفتور وعموميته عن المسلمين .

فقال الأستاذ الرئيس : ان الصاحب الهندى مصيب فى تفصيله وتحريره ولذلك رجعت عن قولى بأن المسلمين أحط من غيرهم مطلقا الى الحكم بأنهم أحط من غيرهم ماعدا أهل النحل المتشددة فى التدين

قال الحافظ البصرى : يلوح لى أنه يلزم استثناء الدهريين والطبيعيين وأمثالهم ممـا لادين لهم لأنهم لابد أن يكونوا على غير نظام ولاناموس فى أخلاقهم معذبين منغصين فى حياتهم منحطين عن أهل الأديان كما يعترف بذلك الطبيعيون فيقولون عن أنفسهم أنهم أشقى الناس فى الحياة الدنيا .

فأجابه (الصاحب الهندى) انى كنت أيضا أظن أنه يوجد فى البشر أفراد من لادين لهم وان من كانوا كذلك لاخلاق لهم ثم خبرتى الطويلة قد برهنت لى ان الدين بمعناه العام وهو ادراك النفس وجود قوة غالبة تتصرف فى الكائنات والخضوع لهذه القوة على وجه يقوم فى الفكر هو أمر فطرى فى البشر وان قولهم فلان دهرى أو طبيعى هو صفة لمن يتوهم أن تلك القوة هى الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهم.

بناء على ذلك ثبت عندى مايقرره الأخلاقيون من أنه لا يصح وصف صنف من الناس بلادين لهم مطلقاً بل كل إنسان يدين بدين إما صحيح أو فاسد عن أصل صحيح وإما باطل أو فاسد عن أصل باطل والفاسد أن يكون فسادهما إما بنقصان أو بزيادة أو بتخليط وهذه أقسام ثمانية.

فالدين الصحيح كافل بالنظام والنجاح فى الحال والسعادة والفلاح فى المآل والباطل والفاسدان بنقصان قد يكون أصحابها على نظام ونجاح فى الحياة على مراتب مختلفة وأما الفاسدان بزيادة أو بتخليط فهلكة محضة ثم أقول ربما كان تقريرى هذا غريباً فى بابه فالتمس أن لايقبل ولايرد إلا بعد التدقيق والتطبيق لأنه أصل مهم لمسألة الفتور العام المستولى على المسلمين.

(قال الرئيس الأستاذ) إنى أجلكم أيها السادة الأفاضل عن لزوم

تعريفكم آداب البحث والمناظرة غير انى أنبه فكركم لأمر لابد هو قائم في نفوسكم جميعاً أو تحبون أن يصرح به ألا وهو عدم الاصرار على الرأى الذاتى وعدم الانتصار له واعتبار أن مايقوله ويبديه كل منا ان هو إلا خاطر سنح له فربما كان صوابا أوخطأ وربما كان مغايراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً أو عملا وهو إنما يورده فى الظاهر معتمداً عليه وفى الحقيقة مستشكلا أومستثبتاً أومستطلعاً رأى الغير بناء على ذلك فما أحد منا ملزم برأى يبديه ولاهو بملوم عليه وله أن يعدل أو يرجع عنه الى ضده لأننا انما نحن باحثون لامتناظرون فاذا أعجبنا رأى المتكلم منا أثناء خطابه إعجابا قويا فلابأس أن نجهر بلفظ (مرحى)[1] تأييداً لاصابة حكمه واشعاراً باستحسانه وعلى هذا النسق فلنمض فى بحثنا فيما هى أسباب الفتور العام .

قال (الفاضل الشامى) انى أرى أن منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والأخلاقية مثل العقيدة الجبرية التى من بعد كل تعديل فيها جعلت الأمة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرحى) ومثل الحث على الزهد فى الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق وإماتة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة والتباعد عن الزينة والمفاخر والاقدام على عظائم الأمور وكالترغيب فى أن يعيش المسلم

(١) مرحى كلمة تعجب تقولها العرب عند اصابة الرامى

كميت قبل أن يموت وكفى بهذه الأصول مفترات مخدرات مثبطات معطلات لايرتضيها عقل ولهرأت بها شرع ولمثلها نفى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أبا ذر الغفارى الربذة .

فاجابه (البليغ القدسى) ان هذه الأصول الجبرية والتزهيدية الممتزجة بعقائد الأمة وما هو أشد منها تعطيلا للأخذ بالأسباب ولنشأة الحياة موجودة فى [illegible] يانات لتعدل من جهة شره الطبيعة البشرية فى طلب الغايات [illegible] الى التوسط فى الأمور ولتكون من جهة أخرى تسلية [illegible] وتنفيساً عن المقهورين البائسين وتوسلا لحصول التساوى [illegible] غنياء والفقراء فى مظاهر النعيم .

ألا يرى إجماع كل الأد [illegible] فى اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى أو خيره منه وشره [illegible] س أو من الشيطان ومع ذلك ليس فى البشر من ينسب أمراً ال [illegible] لا عند الجهل بسببه ستراً لجهله أو عند العجز عن نيل الخير أو د [illegible] ستراً لعجزه وحيث غلب أخيراً على المسلمين جهل أسباب المس [illegible] كونية والعجز عن كل عمل التجأوا الى القدر والزهد تمويها لا [illegible] . وهذا التبتل والخروج عن المال من أعظم القربات فى النص [illegible] فهل كان قصد شارع الرهبانية أن ينقرض الناس كافة بعد جـ [illegible] د أم كان قصده أن يشرعها على أن لايتلبس بها الا البعض النز [illegible] لا يعقل فى هذا المقام الا التعميم

وينتج من ذلك انه لا يصح اعتبار هذه الأصول الجبرية والتزهيدية سبباً للفتور بل هي سبب لاعتدال النشاط وسيره سير انتظام ورسوخ وفي النظر الى المشاق والعظائم التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم لنيل الغنى والرياسة والفخار فضلا عن الثواب كفاية برهان مع أن الأمة اذ ذاك كانت زاهدة فعلالا كالزهد الذى ندعيه الآن كذباً ورياء (مرحى)

اذا تتبعنا كل ما ورد في الاسلامية حاثاً على الزهد تجده موجهاً الى الترغيب بالأثرة العامة أى بتحويل المسلم ثمرة سعيه للمنفعة العمومية دون خصوص نفسه حتى أن كل ما ورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد و به سعى المؤمن بكل الوسائل حتى يبذل حياته لاعزاز كلمة الله واقامة دينه لا في خصوصية محاربة الكفار كما تتوهم العامة كما أن المراد من محاربة الكفار هي من جهة اعزاز الجامعة الاسلامية ومن أخرى خدمة الجامعة الانسانية من حيث الجاء الكفار الى مشاركة المسلمين في سعادة الدارين لأن للأمم المترقية علماً ولاية طبيعية على الأمم المنحطة فيجب عليها انسانية أن تهديها الى الخير ولو كرهاً باسم الدين أو السياسة .

ثم قال : أما عندي فيخيل الى أن سبب الفتور هو تحول نوع السياسة الاسلامية حيث كانت نيابية اشتراكية أى (ديمقراطية) تماماً

فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي المحاربات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ثم صارت أشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحول من أن قواعد الشرع كانت فى الأول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين رضى الله عنهم بالفتوحات وتفرقهم فى البلاد فظهر فى أمر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الدخلاء فرجحوا الأخذ بما يلائم بقايا نزعاتهم الوثنية (١) فاتخذ العمال السياسيون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف فى الأحكام وسائل للانقسام والاستقلال السياسى فنشأ عن ذلك ان تفرقت المملكة الاسلامية الى طوائف متباينة مذهبا متعادية سياسة متكافحة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضانة أهله وتفرقت كلمة الأمة فطمع بها أعداؤها وصارت معرضة للمحاربات الداخلية والخارجية معاً لا تصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها فى العلوم والحضارة على حسبها . وقد أثر استمرار الأمة فى هذه الحروب ان صارت باعتبار الأكثرية أمة جندية صنعة وأخلاقا بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الرابحة فاقتصرت الأمة على

---

(١) وليتهم لم يدخلوا فيه فلم يدنسوه ولم يتغلبوا على أهله حتى فى أهم حق لقريش

المدافعات خصوصا منذ قرنين الى الآن أى منذ صارت الجندية عند غيرهم صنعة علمية مفقودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بيننا فنعيش بالتغالب والتحايل لا بالتعاون والتبادل وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد الخمول والفتور (مرحى)

ابتدر (الحكيم التونسى) وأجابه أن غيرنا من الأقوام جرمانيا مثلا وجدوا فى حكومات مطلقة كليا وفى اختلافات مذهبية وفى انقسامات الى طوائف سياسية وفى حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بد للفتور فى المسلمين من سبب آخر .

ثم قال وفيما أتصور أن بلاءنا من تأصل الجهل فى غالب أمرائنا المترفين الأخسرين أعمالا الذين ضلوا وأضلونا سواء السبيل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً حتى بلغ جهل هؤلاء منزلة أحط من جهل العجماوات التى لها طبائع ونواميس فمنها التى تحمى زمارها وتمنع عن حدودها وتدفع عما استحفظت عليه وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس يخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون . ومنهم البعض ضالون على علم وهم الذين يشكون ويبكون حتى يظن أنهم مغلوبون على أمرهم ويتشدقون بالاصلاح السياسى مع أنهم وايم الحق يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم يظهرون الرغبة فى الاصلاح ويبطنون الاصرار والعناد على ما هم عليه من افساد دينهم ودنياهم

وهدم مبانى مجدهم واذلال أنفسهم والمسلمين وهذا داء عياء لايرجى منه الشفاء لأنه داء الغرور لايقر صاحبه لفاضل بفضيلة ولايجارى حازما فى مضمار وقد سرى من الأمراء الى العلماء الى الكافة

أجاب (المولى الرومى) ان تحميل التبعة على الأمراء فقط غير سديد خصوصاً لأن أمراؤنا ان هم الا لفيف منا فهم أمثالنا من كل وجه وقد قيل كما تكونوا يول عليكم فلولم نكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدنفين .

وعندى أن البلية فقدنا الحرية وما أدرانا ماالحرية هى ماحرمنا معناه حتى نسيناه وحرم علينا لفظه حتى استوحشناه (١) وقد عرف الحرية من عرفها بأن يكون الانسان مختارا فى قوله وفعله لا يعترضه مانع ظالم ومن فروع الحرية تساوى الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء وعدم الرهبة فى المطالبة و بذل النصيحة . ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية ومنها العداله بأسرها حتى لايخشى انسان من ظالم أوغاصب أو غدار مغتال ومنها الأمن على الدين والارواح والامن على الشرف والاعراض

---

(١) ان المولى الرومى هو من أهل القسطنطينية الذين حرم عليهم سياسة التلفظ بكلمات حرية وجمعية ووطن ومراد ورشاد وخلافة وخلع ومبعوث ومعتوه ومختل الى نحوذلك من الألفاظ التى تمس سياسة الوهم

والامن على العلم واستثماره فالحرية هى روح الدين وينسب الى حسان ابن ثابت الشاعر الصحابى رضى الله عنه قوله

وما الدين الا أن تقام شرائع   وتؤمن سبل بيننا وهضاب

فلينظر كيف حصر هذا الصحابى الدين فى اقامة الشرع والأمن هذا ولاشك أن الحرية أعز شىء على الانسان بعد حياته وأن بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الأعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين .وقد كان فينا راعى الخرفان حرا لا يعرف للملك شنئانا يخاطب أمير المؤمنين يا عمر و يا عثمان فصرنا ربما تقتل الطفل فى حجر أمه وتلزمها السكوت فتسكت ولا تجسر أن تزعج سمعنا ببكائها عليه .

و كان الجندى الفرد يؤمن جيش العدو فلا يخفر له عهد فصرنا نمنع الجيش العظيم صلاة الجمعة والعيدين ونستهين دينه لا لحاجة غير الفخفخة الباطلة   (مرحى)

فلمثل هذا الحال لاغرو أن تسأم الأمة حياتها فيستولى عليها الفتور وقد كرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال وترك الأعمال والبعد عن الجد والارتياح الى الكسل والهزل والانغماس فى اللهو تمكينا لآلام اسر النفس والاخلاد الى الخمول والتسفل طلبا لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب الى أن صرنا ننفر من كل الماديات والجديات حتى

لانطيق مطالعة الكتب النافعة ولا الاصغاء الى النصيحة الواضحة لأن ذلك يذكرنا بمفقودنا العزيز فتتألم أرواحنا وتكاد تزهق اذالم نلجأ الى التناسي بالملهيات والخرافات المروحات وهكذا ضعف احساسنا وماتت غيرتنا وصرنا نغضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لاطبيعيا

هذا ونعترف أن فينا بعض أقوام قد ألفوا ألوف سنين الاستعباد والاستبداد والذل والهوان فصار الانحطاط طبعا لهم تؤلمهم مفارقته وهذا هو سبب أن السواد الأعظم من الهنود والمصريين والتونسيين لاسيما بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على الأنفس واموال والحرية في الآراء والأعمال ولايرثون ولايتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون للناقمين على أمرائهم المسلمين شذرا وربما يعتبرون طالبي الاصلاح من المارقين من الدين كأن مجرد كون الأمير مسلما يغنى عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعته واجبة على المسلمين وان كان يخرب بلادهم ويقتل أولادهم ويقودهم ليسلمهم لحكومات أجنبية كما جرى ذلك قبلا معهم والحاصل ان فقدنا الحرية هو سبب الفتور والتقاعس عن كل صعب وميسور

أجاب (المجتهد التبريزى) ان هذا الحال ليس بعام مع أن الفتور لم يزد ازدياداً عاما بل هو في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من سبب آخر

ثم قال ويلوح لى أن انحطاطنا من أنفسنا اذ أننا كنا خير أمة أخرجت للناس نعبد الله وحده أى نخضع ونتذلل لمقسط ونطيع من أطاعه مادام مطيعا له نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر أمرنا شورى بيننا نتعاون على البر والتقوى ولانتعاون على الاثم والعدوان فتركنا ذلك كله ماصعب منه وماهان . وقد يظن أن أصعب هذه الامور النهى عن المنكر مع أن ازالة المنكر فى شرعنا تكون بالفعل فان لم يكن فبالقول فان لم يكن فبالقلب وهذه الدرجة الثالثة هى الاعراض عن الخائن والفاسق والنفور منه وابطال بغضه فى الله

ومن علائم ذلك تجنب مجاملته ومعاملته ولاشك أن ايفاء هذا الواجب الدينى كاف للردع ولايتصور العجز عنه قط قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) فهذا هو سبب استرسال الأمة لعبادة الأمراء والاهواء والأوهام ولاطاعة العصاة اختيارا ولترك التناصح وللركون الى الفساق والاذعان للاستبداد وللتخاذل فى الخير والشر قال (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وعنه صلى الله عليه وسلم (لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب) الى غير ذلك من الآيات البينات والأحاديث المنذرات القاضيات بالخذلان على تاركى

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذا هو السبب الناشىء عنه الفتور

أجابه (المرشد الفاسى) اننا كنا على عهد السلف الصالح شريعتنا سمحاء واضحة المسالك معروفة الواجبات والمناهى فكان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسلمة وكنا فى بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شان التوسع فخصصنا لذلك محتسبين ثم دخل فى ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الاكتساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم فى الجباية وآلتها التى هى الجندية فقط فبطل الاحتساب وبطل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر طبعا فهذا يصلح أن يكون سببا من جملة الاسباب ولكنه لا يكفى وحده لايراث ما نحن فيه من الفتور .

على أن انحصار همة الامراء الدخلاء فى الجباية والجندية أدى بهم لاهمال الدين كليا ولولا أن فى القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهريا أحدهما قوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) مع الغفلة عن المراد بأولى الامر وما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم والثانية قوله تعالى (وجاهدوا فى سبيل الله) مع اغفال هل الجهاد المأمور به ما يستحصل به اعزاز كلمة الله أم ما تؤيد به سلطة الامراء العاملين على الاطلاق فاهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين الى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر

الا على رؤس الألسن لا سيما عند بعض الأمراء الاعاجم اللذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بانهم لا يتراؤن بالدين الا بقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الامة كما ان ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بانهم مشركون ولو شركا خفيا من حيث لايشعرون

فاذا أضيف الى شركهم هذا ماهم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع والعقل بان ملوك الاجانب افضل منهم واولى بحكم المسلمين لأنهم أقرب للعدل ولاقامة المصالح العامة وأقدر على اعمار البلاد وترقية العباد وهذه هي حكمة الله فى نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم لايهلك الله القرى وأهلها مصلحون

وقدافتخر النبي عليه السلام بأنه ولد فى زمن كسرى أنوشروان عابد الكواكب [1] فقال (ولدت فى زمن الملك العادل)

وحكى ابن طباطبا فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية أنه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسى) بغداد سنة ٦٥٦ أمر أن يستفتى علماؤها أيهما أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر فاجتمع العلماء فى المستنصرية لذلك فلما وقفوا على

(١) يظن أن اتخاذ الشمس للآن شارة للملك فى ايران وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك هو من بقايا دياناتهم الأولى

الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضى الدين على بن طاووس حاضرا وكان مقدما محترما فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر فوضع العلماء خطوطهم بعده

ثم قال انى أظن أن السبب الأعظم لمحنتنا هو انحلال الرابطة الدينية لأن مبنى ديننا على أن الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشئون العمومية رؤساء دين سوى الامام ان وجد والا فالأمر يبقى فوضى بين الجميع واذا صار الأمر فوضى بين الكل فبالطبع تختل الجامعة الدينية وتنحل الرابطة السياسية كما هو الواقع

ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) أو ملزم (كغاريبالدى) يوفق بين أمرائنا أو يلزمهم ويجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضا فان المسلمين فى غير جزيرة العرب لفيف اخلاط دخلاء وبقايا أقوام شتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه الى هذه الكعبة المعظمة

ومن المقرر المعروف أنه لولا رؤساء الدين فى سائر الملل وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة أو مديرى أو معلمى المدارس الجامعة المتحدة المبادى لضاعت الأديان وتشعبت أخلاق الأمم وتالهم ما نالنا من أن كل فرد منا أصبح أمة فى ذاته .

أجابه (المحقق المدنى) أن فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية

لا يكفيان أن يكونا سببا للفتور العام بل لابد لذلك من سبب أعم وأهم

ثم قال أما أنا فالذى يجول فى فكرى أن الطامة من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك أن الدين انما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيامهم فى الأمة مقام الأنبياء فى الهداية الى خير الدنيا والآخرة . ولاشك أن لمثل هذا المقام فى الأمة شرفا باذخا يتعاظم على نسبة الهمم فى تحمل عنائه والقيام باعبائه . فبعض ضعيفى العلم وفاقدى العزم تطلعوا الى هذه المنزلة التى هى فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعالين عنهم فتحيلوا للمزاحمة والظهور مظهر العلماء العظام بالاغراب فى الدين وسلوك مسلك الزاهدين ومن العادة أن يلجأ ضعيف العلم الى التصوف كما يلجأ فاقد المجد الى الكبر وكما يلجأ قليل المال الى زينة اللباس والأثاث

(مرحى)

فصار هؤلاء المتعالين يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله محكم النظم الكريم فيفسرون مثلا البسملة أو الباء منها بسفر كبير تفسيرا مملوأ بلغط لامعنى له أو بحكم لا برهان عليه . ثم جاؤا الأمة بوراثة أسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها وتسنم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها وبالامعان

نجدهم قد جاؤا مصداقا لما ورد فى الحديث الصحيح (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع) وفى رواية حذو القذة بالقذة (حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم) (قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال هو فمن) وذلك أن هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنا لك كله أو جله عن أصحاب التلمود وتفاسيرهم ومن المجامع المسكونية ومقرراتها ومن البابوية ووراثة السر ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة المبشرين وصبرهم والرهبنات ورؤسائها وحالة الأديرة ونادريتها والرهبنة أى التظاهر بالفقر ورسومها والحية وتوفيتها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم فى ألبستهم وشعورهم ومن مراسم الكنائس وزينتها والبيع واحتفالاتها والترنحات ووزنها والترنمات وأصولها وإقامة الكنائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع لديها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والدستار من احترام الذخيرة وقدسية العكاز وكذلك امرار اليد على الصدر عند ذكر بعض الصالحين من إمرارها على الصدر لاشارة التصلب وانتزعوا الحقيقة من السر ووحدة الوجود من الحلول والخلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والمولد من الميلاد وحفلته من الأعياد ورفع الأعلام من حمل الصلبان وتعليق ألواح الأسماء المصدرة بالنداء على الجدران من تعليق الصور والتماثيل والاستفاضة

والمراقبة من التوجه بالقلوب انحناءأمام الأصنام ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة من حظر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وسد اليهود باب الأخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود الى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليدا لهؤلاء شبرا شبرا واقتفاء لأثرهم حجرا حجرا وهكذا إذا تتبعنا البدع الطارئة نجد أكثرها مقتبسا وقليلها مخترعا .

وقد فعل المدلسون ذلك سحرا لعقول الجهلاء واختلابا لقلوب الضعفاء كالنساء وذوى الأهواء والأمراض القلبية أو العصبية من العامة والامراء الليني القياد طبعا الى الشرك لأن التعبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب الى مداركهم من عبادة اله ليس بجوهر ولا عرض وليس كمثله شيء ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركي العرب فقال (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) أي صفيرا وتصفيقا وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقا وشهيقا وخلاعة ونعيقا (مرحى)

والحاصل أن بذلك وأمثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولاسيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير وباستمالتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتقشف الشيطاني وبتزيهم

لهم رسوما تميل اليها النفوس الضعيفة الخاملة سموها آداب السلوك ماأنزل بها من سلطان ولاعمل بها صحابى أو تابعى ظاهرها أدب و باطنها تشريع وشرك وبجذبهم البله الجاهلين بتصعيب الدين من طريق العلم والعمل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم و بأصحاب الفتور وقد تجاسروا على وضع احاديث مكذوبة أشاعوها فى مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء المخلصين من المتقدمين والمتأخرين مع أنها لاأصل لها فى كتب الحديث المعتبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب ترغيبا بالاستفادة من الدخول فى الرابطات والعصبيات المنعقدة بين أشياعهم وترهيبا بتهديدهم معاكسيهم أو مسيئى الظن بهم أو باضرارهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ضررا يتعجلهم فى دنياهم قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام لهؤلاء المدلسين أسواق فى بغداد ومصر والشام وتلمسان قديما ولكن لا كسوقها فى القسطنطينية منذ أربعة قرون الى الآن حتى صارت فيها هذه الأوهام السحرية والخزعبلات كأنها هى دين معظم أهلها لا الاسلام وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على أن يرثوا طبائعهم أيضا حتى التوسع فى هذه المصارع السيئة فاقتبس لهم المدلسون كثيرا مما ايناه وطبقوه على الدين وان كان الدين يأباه وزينه لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه ومن هذه

العواصم سرى ذلك الى الآفاق بالعدوى من الامراء الى العلماء الأغنياء الى العوام

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم [1] نفوذاعظيمابه أفسدوا كثيرا فى الدين وبه جعلوا كثيراً من المدارس تكاياللبطالين الذين يشهدون لهم زورا بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيرامن الجوامع مجامع للطبالين الذين ترتج من دوى طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتلبسهم نوع من الخبل يظنونه حالة من الخشوع . وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياهارزقا لهم وبه جعلوامداخيل أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم ممايسمى فى البلادالعثمانية (دعا كو وطعامية) مرحى

وبذلك ضاق على العلماء الخناق لارزق ولاحرمة وكفى بذلك مضيعا للعلم وللدين لأنه قد التبس على العامة علماء الدين الفقراء الأذلامن هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء فتشوشت عقائدهم وضعف

---

(١) السحر لغة اخراج الباطل فى صورة الحق بالتمويه والخداع والسحر الذى فى لسان الشرع هو أيضا ليس غير ذلك بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون فى قوله جلت حكمته (فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقوله (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى)

بقينهم فضيع الأكثرون حدود الله وتجاوزوها وفقدوا قوة قوانين الله فقسدت أيضا دنياهم واعتراهم هذا الفتور

أجاب (المولى الرومى) أن كل الديانات معرضة بالتمادى لأنواع من التشويش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوى نشاط وعزم ينبهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوضون قواعد الدين اذا كان أصلها واهيا[1] فوهنت بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم و يتحملون فى سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية و يفدون ماعز وهان حفظا لشرفهم القائم بشرف قومهم بل حفظا لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتا متحركين فى أيدى أقوام آخرين . ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق أن المنشأ الأصلى لكل شقاء فى بنى حواء هو أمر واحد لا ثانى له ألا وهو وجود السلطة القانونية منحلة ولو قليلا لفسادها أو لغلبة سلطة شخصية أو اشخاصية عليها

فما بال الزمان يضن علينا برجال ينبهون الناس ويرفعون الالتباس يفتكرون بحزم و يعملون بعزم ولا ينفكون حتى ينالوا مايقصدون فينالون حمدا كثيرا وفخرا كبيرا وأجرا عظيما

---

(١) لا كقواعد الدين الاسلامى

وعندى أن داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين

نبه (السيد العراقى الاستاذ الرئيس) الى قرب وقت الانصراف وعندئذ جهر (الاستاذ الرئيس) بشعار (لانعبد الا الله) استلفاتا للاخوان وقال لهم ان أخانا المولى الرومى لفارس مغوار نحب منه ماعودنا من التفصيل والاشباع والآن قد آن وقت الظهر وحان أن تتفرق لندرك الصلاة وموعدنا غدا ان شاء الله تعالى

الاجتماع الثالث

يوم الخميس ثامن عشر ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى الوقت المعين وهو بعد طلوع الشمس بساعة ثم تواردالاخوان لمحفل الجمعية غير أن الاستاذ الرئيس تأخرنحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه أعاقه عن الحضور أن حضرة الشريف الامير قد طلبه لزيارته فما وسعه الا الاجابة باكرا وما يظن أن يسترسل بينهما الحديث فيتأخر عن الميعاد ولكن صادف أن الحديث كان طويلا .

ثم قال (الاستاذ الرئيس) انامتشوقون لتمام بحث المولى الرومى وأمر السيد الفراتى كاتب الجمعية فقرأ ضبط مذاكرات الاجتماع

السابق حتى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي وهي قوله وعندي أن داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهلة المتعممين

فحينئذ أفاض (المولى الرومي) في الكلام فقال وهم المقربون من الأمراء على أنهم علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم فان هؤلاء المتعممين في البلاد العثمانيـة كانوا اتخذوا لأنفسهم قانونا سموه (طريق العلمـاء) وجعلوا فيه من الأصول ما أنتج منذ قرنين الى الآن أن يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للأميين بل للأطفال

ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال بمجرد تقادم السنين أو ترادف العنايات لاسيما اذا كان من زمرة (زاد كان) أي الأصلاء فانه يكون طفلا في المهد وينعت في منشوره الرسمي من قبل حضرة السلطان بأنه (أعلم العلماء المحققين) ثم يكون فطيما فيخاطب بانه (أفضل الفضلاء المدققين) ثم يصير مراهقا فيعطى المولوية ويشهد له بأنه (أقضى قضاة المسلمين معدن الفضل واليقين رافع أعلام الشريعة والدين وارث علوم الأنبياء والمرسلين) ثم وثم حتى يصدر فيوصف (بأعلم العلماء المتبحرين وأفضل الفضلاء المتورعين ينبوع الفضل واليقين الى آخر ما في تلك المناشير من الكذب المشين

ولا يظن ظان أن هذا الاطراء من حضرة السلطان للمتعممين هو يقصد أن يقابلوه بالمثل بوصفهم إياه ومخاطبتهم له بنحو (المولى المقدس ذي القدرة صاحب العظمة والجلال المنزه عن النظير والمثال واهب الحياة ظل الله خليفة رسول الله مهبط الالهامات مصدر الكرامات سلطان السلاطين مالك رقاب العالمين ولي نعمة الثقلين ملجأ أهل الخافقين) الى غير ذلك من مصارع الشرك والكبرياء والمهالك

هذا ولا ريب أن التسعين فى المائة من هؤلاء العلماء المتبحرين لا يحسنون قراءة نعوتهم المزورة كما أن الخمسة والتسعين من أولئك المتورعين رافعى أعلام الشريعة والدين يحاربون الله جهارا و يستحقون مايستحقون من الله وملائكته والمؤمنين ويكفى حجة عليهم بذلك تميزهم جميعا بلباس عروسى محلى بكثير الفضة والذهب مما هو حرام بالاجماع ولا يحتمل التأويل وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والقلنسوات المنهبة عند اقامة شعائرهم وفى احتفالاتهم الرسمية وهذا الخطيب فى بعض جوامع السلاطين يستوى على المنبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسه وصدره ومنكبيه هذا اللباس المنكر (مرحى)

وهؤلاء قضاة القسطنطينية على عهدنا أكثرهم لا يمرضون حضرة السلطان المعظم نصب خطيب لاقامة الجمعة ولا ينصبون

وصيا على أبله أو مختل العقل أو مسرف فاسد التدبير ولا يعزلون متوليا أو وصيا لخيانة فى مال الوقف أو اليتيم ولا يقضون فى مسألة خلع زوجة ولا يسمعون بينة تواتر الى غير ذلك من قضايا وأحكام شرعية كثيرة لايجوز شرعا ولا ادارة اهمالها ولا حجة لهم فى ارتكاب اثم تعطيلها غير مجاراة الاوهام ثم ان هؤلاء المتعممين ما كفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر سموه قانون (توجيه الجهات) جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية كالعروض تباع وتشرى وتوهب وتورث وماينحل منها نادرا عن غير وارث يبيعها القضاة لمن يريد ويتكرمون بها على المتملقين وبهذا القانون انحصرت الخدم الدينية فى الجهلاء والمنافقين .

ثم لنا وضع قانون (تشكيل الولايات) لم يرض المتعممون حتى جعلوا فيه قاضى المسلمين وكذلك مفتى المؤمنين فى كل بلد عضوين فى مجلس الادارة يحكمان بأشياء كثيرة مما يصادم الشرع كالربا والضريبة على الجمهور والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأليق والأنسب بالاسلامية أن يبقى العلماء بعيدين عنه كما أن القسيس بل الشماس لايحضر مجلسا يعقد فيه زواج أو تفريق مدنيان ولا يشهد فى صك دين داخله ربا فضلا عن أن يقضى أو يمضى بصفة رسمية كهنوتية أمثال ذلك من الأعمال التى تصادم دين النصرانية .

ثم لما وضع (قانون المدلية) تهافت المعممون على جعل قاضى المسلمين رئيسا للمحكمة النظامية التى تحكم بمالم ينزل الله وبما يتبرأ الدين الحنيف منه من نحو ربا صريح ومن ابطال حدود الله التى صرح بها القرآن كلياأو باستبدالها بعقوبات سياسية أو بتغريمات مالية ومن نحو معاقبة العباد بمجرد الظن والرأى وشهادة الواحد وشهادة الفاسق وشهادة العاهرة المجاهرة ممالا يلائم الشرع قطعياومن نحو تنفيذ كل حكم عرفى حق أو باطل بدون نظر فيه ومن تحصيل ضرائب وغرامات ومن توقيف الأحكام الشرعية على استيفاء الرسوم من الأخصام وأموال الايتام

ومن أهم دسائس المتعممين أنهم ينفثون فى صدور الأمراء لزوم الاستمرار على الاستقلال فى الرأى وان كان مضرا ومعاداة الشورى وان كانت سنة والمحافظة على الحالة الجارية وان كانت سيئة ويلقون عليهم بأن مشاركة الامة فى تدبير شؤونها واطلاق حرية الانتقاد لها يخل بنفوذ الامراء ويخالف السياسة الشرعية ويلقنونهم حججا واهنة لولا أن أمامها جهل الأمة وو راءها سطوة الامارة لما تحركت بها شفتان ولاتردد فى ردها إنسان

طالامر الامر أن أولئك الامراء يقتبسون من هذه الحجج مايتسلحون به فى مقابلة من يتعرض على سياستهم من الدول الأجنبية

بقولهم ان قواعد الدين الاسلامي لا تلائم أصول الشورى ولاتقبل النظام والترقيات المدنية وانهم مغلوبون على أمرهم ومضطرون لرعاية دين رعاياهم ومجاراة ميل الفكر العام

ولنرجع لبحث العلماء الرسميين فنقول بهذه القوانين عند العثمانيين وبأشباهها عند أكثر حكومات المسلمين ضل المتعممون وصاروا أضر على الدين من الشياطين

وبهذه القوانين استأثر الجهلاء الفاسقون بمزايا العلماء العاملين واغتصبوا أرزاقهم من بيت المال ومن أوقاف الاسلاف فبالضرورة قلت الرغبات في تحصيل العلوم وثبطت الهمم وصار طالب العلم يضطر للاكتفاء ببلغة منه ويشتغل بالاحتراف للارتزاق وهكذا فسد العلم وقل أهله فاختلت التربية الدينية في الامة فوقعت في الفتور وعمت فيها الشرور .

أجاب (الرياضي الكردي) ان هذا الداء خاص ببعض الامم الاسلامية فلا يصلح سببا للفتور العام الذي نبحث فيه ونتساءل عنه وعندي ان السبب العام هو أن علماءنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات وأهملوا باقي العلوم الرياضية والطبيعية التي كانت اذذاك ليست بذات بال ولاتفيد سوى الجمال والكمال ففقد أهلها من بين المسلمين واندرست كتبها وانقطعت علاقتها فصارت منفورا منها

على حكم « المرء عدو ماجهل » بل صار المتطلع اليها منهم يفسق ويرمى بالزيغ والزندقة على حين أخذت هذه العلوم تنمو فى الغرب وعلى كر القرون ترقت وظهر لها ثمرات عظيمة فى كافة الشئون المادية والأدبية حتى صارت كالشمس لاحياة لذى حياة الابنورها فاصبح المسلمون مع شاسع بعدهم عنها محتاجين اليها لمجاراة جيرانهم احتياجا يعم الجزئيات والكليات من تربية الطفل الى سياسة الممالك ومن استنبات الأرض الى استمطار السماء ومن عمل الابرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام اليد والحمار الى استخدام البرق والبخار

ولاشك أن المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمية فوائد عظيمة جدا بالنظر الى كشفها بعض أسرار كتاب الله وبالغ الحكمة المنطوية فيه مما كان مستورا الى الآن وقد خبط فيه المفسرون خبط عشواء كظهور حياة الجمادات بماء التبلور[1] وكازدواج النباتات عامة[2] وكقبول الأرض

---

(١) وجعلنا من الماء كل شيء حى

(٢) سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم) (فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى)؛ (وأنبتت من كل زوج بهيج) (من كل الثمرات جعل فيها زوجين)

كالانتقاص وانشقاق القمر منها (١) وكانفتاق الأرض من السماء (٢) وكحدوث الجدرى الذى نشأ فى أصحاب الفيل بالمكروب (٣) وكظهور سلسلة خلق الحيوان من تراب وطين وصلصال بقاعدة الترقى التى أثبتها العلامة دارون (٤) وكظهور صفة الحركة الدائمة من الشخوص والهبوط المستمرين فى الكائنات كلها (٥) وكظهور سر ضبط المقادير فى التركيبات الكيماوية (٦) وكظهور انقسام طبقات الأرض إلى سبعة على الرأى الأصح وكظهور أن السماء فضاء بالاجماع وبذلك تندفع مشكلة قبولها الفتق والرتق وكظهور امتلاء الكون بالأثير وأنه أصل مادة الكائنات (٧) وكالاخبار عن المركوبات البرية البخارية

---

(١) (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها)

(٢) أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

(٣) (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أى متتابعة مجتمعة (ترميهم بحجارة من سجيل) أى من الطين الذى يتماسك على سطح المستنقعات

(٤) (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)

(٥) (وكل فى فلك يسبحون) كل راجع لما ذكر من عند (وآية لهم الارض) لا خاص بالشمس والقمر

(٦) وكل شيء عنده بمقدار

(٧) ثم استوى الى السماء وهى دخان

والكهربائية (١) وغير ذلك من الحقائق التي كشفها العلم أخيراً وأعظم بها من براهين قطعية على إعجاز القرآن وتجدد إعجازه ما كر الجديدان بل أضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقلية التي كادت تجعل الغربيين أدرى منا حتى في مباني ديننا كاستدلالهم بالمقايسة على ان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل العالمين عقلا وأخلاقا وكاثباتهم بالمقابلة أن ديننا أسمى الديانات حكمة ومزية .

وعندي أنه لولا هـذا القصور ماوقع المسلمون في هذا الفتور والأمل بعناية الله أنهم بعد زمان قصير أو طويل لا بد أن يلتفتوا لهذه العلوم النافعة فيستعيدوا نشأتهم بل يجلبوا إلى دينهم العالم المتمدن لأن نور المعارف على قدر ابعاده العقلاء عن النصرانية وأمثالها يقربهم من الاسلامية لأن الدين المملوء بالخرافات والعقل المتنور لايجتمعان في دماغ واحد (مرحى)

ثم أن تبعة هذا التقصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا أن علماءنا المتأخرين أكثر قصوراً لأنهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم ميل لاقتباسها بل نراهم مقتصرين

---

(١) وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون

على تدريس اللغة والفقه فقط أو بعلاوةشيء من المنطق اتماما للعقائد وشيء من الحساب إكمالا للفرائض والمواريث قلما يفيد

وكذلك نرى وعاظنا مقتصرين على البحث فى النوافل والقربات المزيدة فى الدين ورواية الحكايات الاسرائيليات ومثلهم المرشدون أهل الطرائق مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ورواية كرامات الانجاب والنقباء والابدال وعلى ضبط وزن التمايل وأصول الانشاد ولاننسى خطباءنا واقتصارهم على تكرار عبارات فى النعت والدعاء للغزاة والمجاهدين وتعداد فضائل العبادات

والحاصل أن تقصيرات العلماء الأقدمين واقتصارات المتأخرين وتباعد المسلمين الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم أحط بكثير عن الأمم ولا شك أنه اذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما أخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها مابين الانسان وباقى أنواع الحيوان فبناء عليه يكون ناموس الارتقاء هو المسبب لهذا الفتور كما قال تعالى «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون»

فاجابه (الكامل الاسكندرى) ان هذا سبب من الاسباب ولا يكفى وحده لحل الاشكال لأن فقد العلوم الحكمية والطبيعية لايصلح سببا لفقد الاحساس الملى والأخلاق العالية لأنها توجد فى أعراق الامم جهالة وانما سبب فتور حياتنا الأدبية هو يأسنا من المباراة

وذلك انا كنا علماء راشدين وكان جيراننا متاخرين عنا فعرفنا البقاء فنمناواجتهدوا فلحقونا ولبثنا نياما فاجتازوا وسبقونا وتركونا وراء وطال نومنا فبعد الشوط حتى صار مابعد ورائنا وراء . فصغرت نفوسنا وفترت همتنا وضعف احساسنافيئسنا من اللحاق والمجاراة وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة وألسنتنا تفيض بقولنا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص فعدنا إلى كهف النوم مستسلمين للقضاء نطلب الفرج بمجرد التمنى والدعاء ذاهلين عن أن الله تعالى جلت حكمته رتب هذه الحياة الدنيا على أسباب ظاهرية ولم يشأ أن يجعلها كالآخرة عالم أقدار فهذا اليأس هو سبب الفتور فنسأل الله تعالى اللطف من المقدور

اجابه (العارف التاتارى) ان هذه شكاية حال ولا تفى بالجواب لأنه ماالسبب فى هذا النوم غشى المسلمين ولم يزل يغشاهم دون كثير غيرهم من الأمم التى انتبهت وسارت ولحقها طعن الأحياء وما المسلمون الا بعدين المنقطبين كأهل الصين [1] ولاهم بالمتوحشين العريقين كأهل أمريكا الأصلين

ثم قال : أنا أرى أن عارضنافقدنا السراةوالهداة فلاأمير عام حازم مطالع ليسوق الأمة طوعا أو كرها الى الرشاد ولاحكيم معترف له

(١) هكذا فى الأصل

بالمزية والاخلاص لتتقاداليه الأمراء والناس ولاتربية قويمة المبادىء ينتج منها رأى عام لايطرقه تخاذل وانقسام ولاجمعيات منتظمة تسعى بالخير وتتابع السير ولذلك حل فينا الفتور والى الله ترجع الأمور

أجابه (الفقيه الأفغانى) ان ماوصفته من أمير وحكيم لا يوجدان فى الأمم المنحطة الا اتفاقا أما الرأى العام والجمعيات فلا يفقدان إلا بسبب فقد إحساس وهذا ماتتساءل عنه

وذكر أن الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام لأن الفقر قائد كل شر ورائد كل نحس فمنه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت آرائنا حتى فى ديننا ومنه فقد إحساسنا ومنه الى كل مانحن فيه أو نتوقع أننا سنوافيه فهذه فطرتنا لانقص فيها عن غيرنا وعددنا كثير وبلادنا متواصلة وأرضنا مخصبة ومعادننا غنية وشرعنا قويم وفخارنا قديم فلا ينقصنا عن الأمم الحية غير القوة المالية التى أصبحت لاتحصل إلا بالعلوم والفنون العالية وهذه لاتحصل إلا بالمال الطائل فوقعنا فى مشكل الدور وعسى أن نهتدى لفكه سبيلا وإلا فيحيق بنا ناموس فناء الضعيف فى القوى وبيننا الجاهل والعالم

ومن أعظم أسباب فقر الأمة أن شريعتنا مبنية على أن فى أموال الأغنياء حقا معلوما للبائس والمحروم فيؤخذ من الأغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع

فصارت تجبي الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للأغنياء وتحابي بها المسرفين والسفهاء

أجاب (السعيد الانكليزى) ان المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لايعوزهم المال اللازم للتدرج فى العلوم حتى للسياحات البحرية والقطبية لان فريضة الزكاة على مالكى النصاب والكفارات المالية جاعلة لفقراء الامة وبعض المصاريف العمومية نصيبا غير قليل فى مال الاغنياء بحيث اذا عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنوا الفقر وعاشوا عيشة الاشتراك العمومى المنتظم التى يتمنى ماهو من نوعها أغلب العالم المتمدن الافرنجى وهم لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها مع أنه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون وفنيان ونيهلست وسوسيالست) كلها تطلب التساوى أو التقارب فى الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب المقررين فى الاسلامية دينا بوسيلة أنواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل إيتاء الزكاة وإيفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب إهمال الزكاة فقد الثمرات العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنويا فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله ولاشك أن الواحد من الاربعين يفى أن يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها

والشريعة الاسلامية هى أول شريعة ساقت الناس والحكومات

لاصول البودجة المؤسس عليه فن الاقتصاد المالى الافرادى والسياسى

ويخيل لى أن سبب هذا الفتور الذى أخل حتى فى الدين هو فقد الاجتماعات والمفاوضات وذلك أن المسلمين فى القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطبائهم ووعاظهم خوفا من أهل السياسة التعرض للشئون العامة كما أن علماءهم صاروا يسترون جبنهم بجعلهم التحدث فى الامور العمومية والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعنى وأن إتيان ذلك فى الجوامع من اللغو الذى لا يجوز وربما اعتبروه من الغيبة أو التجسس أو السعى بالفساد فسرى ذلك الى أفراد الأمة وصار كل شخص لا يهتم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته فى يومه كأنه خلق أمة واحدة وسيموت غدا جاهلا أن له حقوقا على الجامعة الاسلامية والجامعة البشرية وان لهما عليه مثلها ذاهلا عن أنه مدنى الطبع لا يعيش إلا بالاشتراك ناسيا أو جاهلا أوامر الكتاب والسنة له بذلك (مرحى)

ثم بتوالى القرون والبطون على هذه الحال تأصل فى الأمة فقد الاحساس الى درجة أنه لو خربت هذه الكعبة والعياذ بالله تعالى لما تقطبت الحياة أكثر من لحظة ولا أقول لما زاد تلاطم الناس على سبعة أيام كما ورد فى الاثر لأن المراد بأولئك الناس أهل جزيرة العرب اذ ذاك .

واذا دققنا النظر فى حالة الأمم الحية المعاصرة وهى ليس عندها ماعندنا من الوسائل الشريفة للاجتماعات والمفاوضات نجدهم قداحتالوا للاجتماعات ولاسترعاء السمع والاستلفات بوسائل شتى .

(١) منها تخصيصهم يوما فى الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتنعقد الندوات فيتباحثون ويتناجون

(٢) ومنها تخصيصهم أياما يتفرغون فيها لتذاكر مهمات الاعمال لاعاظم رجالهم الماضين تشويقا للتمثل بهم .

(٣) ومنها اعدادهم فى مدنهم ساحات ومنتديات تسهيلا للاجتماع والمذكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات

(٤) ومنها إيجادهم المتنزهات الزاهية العمومية واجراالاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق للاجتماعات .

(٥) ومنها إيجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (التياترو) بقصد ارائة العبر واسترعاءالسمع للحكم والوقائع ولوضمن أنواع من الخلاعة التى اتخذت شباكالمقاصدالجمع والاسماع ويعتبرون أن نفعها أكبر من ضرر الخلاعة

(٦) ومنها اعتناؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم الملية المفصلة المدججة بالعلل والاسباب تمكينا لحب الجنسية

(٧) ومنها حرصهم على حفظ العاديات المنبهة وادخار الآثار القديمة المنوهة واقتناء النفائس المشعرة بالمفاخر

(٨) ومنها إقامتهم النصب المفكرة بمـا نصبت له من مهمات الوقائع القديمة .

(٩) ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالعات الفكرية

(١٠) ومنها بثهم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تنشيء في القوم نشأة حياة اجتماعيـة وتولد في الرؤس حمية وحماسة وفي النفوس سموا ونشاطا .

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عنـدهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي أعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعيـة الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها أداء الفريضه فقط بصورة تعبدية بسيطة والحال حكمة الشارع أبلغ من ذلك وعندي أن هذا أعظم أسباب الفتور (مرحى)

فاجابه (الامام الصيني) ان هذا أشبه بالعوارض منه بالاسباب فهو أليق بان يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور

ثم قال اني أرى أن السبب الا كبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلمـاء المتملقين المنافقين الذين يتصاغرون لديهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين ليوفقوها على أهوائهم فـاذا يرجى من

علمـاء يشترون بدينهم دنياهم ويقبلون يد الأمير لتقبل العامة ايديهم ويحقرون أنفسهم للعظماء ليتعاظموا على ألوف من الضعفاء أكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاشل لايحسنون أمرا من الأمور حتى ولا الخصومة فتراهم لايتراغمون الا بتكفير بعضهم بعضا عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جدا لأن كبر الأمراء يمنعهم من الميل الى العلمـاء العاملين الذين فيهـم نوع غلظة لابد منها ولنعما هي مزية لولاها لفقد الدين بالكلية (مرحى)

فلا شك أن فى هذا الزمان أفضل الجهاد فى الله الحط من قدر العلماء المنافقين عند العامة وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاملين حتى اذا رأى الأمراء انقياد الناس لهؤلاء أقبلوا هم أيضا عليهـم رغم أنوفهم وأذعنوا لهم طوعا أو كرها على أنه يجب على حكماء الأمة المجاهدين فى الله أن يعتنوا بالوسائل اللينة لتثقيف عقول العلمـاء العاملين لأن العلم رافع للجهل فقط ولا يفيد عقلا ولا كياسة فيلزم تعليمهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاشر اسلام الصين ولاتفقد أية بلدة كانت رجالا حكماء نبلاء يمتازون طبعا على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلمـاء

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يطلق عليهم فى الاسلامية

اسم أهل الحل والعقد الذين لاتنعقد شرعا (الامامة) الا ببيعتهم وهم خواص الطبقة العليا فى الأمة الذين أمر الله عزشأنه نبيه بمشاورتهم فى الأمر الذى لهم شرعا حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لأنهم رؤساء الأمة ووكلاء العامة والقائمون فى الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والاشراف فى الحكومات المقيدة ومقام الاسرة الملوكية التى لها حق السيطرة على الملوك فى الحكومات المطلقة كالصين وروسيا ومقام شيوخ الانخاذ فى ازاء أمراء العشائر العربية أولئك الأمراء الذين ليس لهم من الأمر غير تنفيذ مايبرمه الشيوخ

واذا دققنا النظر فى أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشتراكهم فى تدبير شؤون الأمة

واذا رجعنا البصر الى التاريخ الاسلامى نجد أن النبى عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى امتثالا لامر ربه فى قوله تعالى (وشاورهم فى الأمر) حتى أنه ترك الخلافة لمجرد رأى الأمة

ثم كان أول الخلفاء رضى الله عنه أشبه الناس به حتى أنه أخذ رأى سراة الصحابة فيمن خلف ثم الخليفة الثانى اتبع أثر الاول وان استأثر فى ترتيب الشورى فيمن يخلفه ثم الخليفة الثالث اجتهد فى مخالفة رؤساء الصحابة فى بعض المهمات فلم يستقم له الامر وظهرت

الفتن كما هو معلوم ثم معاوية رحمه الله كان قليل الاستقلال بالرأى فحسنت أيامه عن قبل . وهكذا كانت دولة الامويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لا سيما من سراة بنى أمية فانتظمت على عهدهم الاحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مذعنين لسيطرة رؤساء بنى هاشم ثم استبدوا فى الرأى والتدبير فخالفوا أمر الله واتباع طريقة رسول الله ساءت الحال حتى فقد الملك

وهكذا عند التدقيق فى كل فرع من الدول الاسلامية الماضية والحاضرة بل فى ترجمة كل فرد من الملوك والامراء بل فى حال كل ذى عائلة أو كل انسان فرد نجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال فى الرأى

فاذا تقرر هذا علمنا أن سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد فى الأمراء شيمة وتكبرا وترك أهل الحل والعقد والاحتساب جهلا وجبانة وهذا عند بعض الأقوام المسلمين كايران وأما الأكثر فقد أمسوا لا علماء هداة ولا سراة أباة بل هم فوضى فى الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذا الحال أن لا يرجى لهم دواء الا بعناية بعض الحكماء الذين ينجبون من أى طبقة كانت من الأمة وقد قضت سنة الله فى خلقه أن لا تخلو أمة من الحكماء

فاجاب (العالم النجدى) ان شؤون السياسة فى الصين تختلف كثيراً

عنها فى غيرها وليس فى الصين ملوك كثيرة وأمراء جبابرة كما عند غيرهم فالحكماء فى الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الاسلام فى الصين حنيفا خفيفا لم يفسده التفنن والتشديد ومع ذلك نرى الفتور شاملهم أيضا ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحول الأمراء والعلماء

ثم قال أنى أجزم ولا أقول أظن أو أخال أن سبب الفتور الطارىء الملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وماجاء الخفاء الامن شدة الوضوح فهل بقى من شك بعد هذه الابحاث التى سبقت فى جمعيتنا ولا سيما مابينه المحقق المدنى فى أن الدين الموجود الآن بالنظر الى ماندين به لا بالنظر الى مانقرره وباعتبار مانفعله لا باعتبار مانقوله ليس هو الدين الذى تميز به اسلافنا مئين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارىء تغيير غيرت نظامه

وذلك أن الاخلاف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة بالعلم والمال والجهاد فى الدين والامر بالمعروف وازالة المنكر واقامة الحدود وإيتاء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام وزادفيه المتأخرون بدعا وتقليدات وخرافات ليست منه كشيوع عبادة القبور والتسليم لمدعى علم الغيب والتصرف فى المقدور

وهذه الطوارئ من تغييرات أو متروكات أو مزيدات أكثرها يتعلق بأصول الدين وبعضها بأصل الأصول أعني التوحيد وكفى بأن يكون سببا للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) (مرحى)

ولقائل أن يقول اذا سلمنا أن الدين تغير عما كان عليه فما تأثير ذلك فى الفتور العام الذى هو من شؤن الحياة الدنيا وها نحن نجد أكثر الأمم الحية التى نغبطها قد طرأ على دينها التغيير والتبديل فى الأصول والفروع ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم أنهم ماأخذوا فى الترقى الابعد عزلهم شؤن الدين عن شؤن الحياة وجعلهم الدين أمرا وجدانيا محضا لاعلاقة له بشؤون الحياة الجارية على نواميس الطبيعة

فالجواب على ذلك بأنه كما يطالب كل انسان بأن يكون صاحب ناموس أى متبعا على وجه الاطراد فى اخلاقه وأعماله قانونا ما موافقا ولو فى الأصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التى هو منها والافيكون لاناموس له منفورا منه مضطهدا فكذلك كل قوم مكلفون بأن يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم نوعا لقوانين الامم التى لها معهم علاقات جواريه أو تجارية أو مناسبات سياسية والافيكونون قوما متوحشين لاخلاق لهم ولا انتظام منفورا منهم مضطهدين

وذلك الناموس الطبيعى فى أن البشر هو ناموس وحشى لاخير فيه لأن مبانيه هى تنازع البقاء وحفظ النوع والتزاحم على الأسهل والاعتماد على القوة وطلب الغايات وحب الرئاسة وحرص الادخار ومجاراة الظروف وعدم الثبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضر لايلطفها غيرناموس شريف واحد مودوع فى فطرة الانسان وهو إذعانه الفكرى للقوة الغالية أى معرفته الله بالالهام الفطرى الذى هو الهام النفس رشدها والهامها فجورها وتقواها (مرحى)

ولاريب فى أن لهذه الفطرة الدينية فى الانسان علاقة عظمى فى شؤون حياته لأنها أقوى وأفضل وازع يعدل سائر نواميسه المضرة ويخفف مرارة الحياة التى لايسلم منها ابن أنثى وذلك بمايؤمله المؤمن من المجازاه والمكافأة والانتقام منه وله (مرحى)

وعند تدقيق حالة جميع الأديان والنحل تدقيقاً تاريخيا توجد كلها ناشئة عن أصل صحيح بسيط سماوى لاترى فيه عوجا ولاأمتا بوجدان كل دين كان فى أوليته باثا فى أهله النظام والنشاط وراقياً بهم الى أوج السعادة فى الحياة الى أن يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى أصلين اثنين (الاشراك بالله . والتشديد فى الدين) فيأخذ فى الانحطاط بالأمة ولم يزل نازلا بها الى أن تبلغ

حالة أقبح من الحالة الأصلية الهمجية فتنتهى بالانقراض أو الاندماج فى أمة أخرى

أو يتدارك الله تلك الأمة بعناية بالغة فيبعث لهم رسولا يجدد دينهم أو يخلق فيهم أنبياء أوحكماء يصلحون لهم مافسد من دينهم كما حصل ذلك فى الامم الماضية كعاد وثمود وكالسريان واسرائيل وكنعان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كأنهما أمران طبيعيان فى الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان لأن النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر أكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ومفطورة على التشديد رغبة فى التميز والشيطان يسعف النفس بالتسويل والتأويل والتحويل والتضليل الى أن يفسد الدين (مرحى)

ثم اذا دققنا حالة الاسلامية فى القرون الخالية نجدها عند أكثر أهل القبلة قد أصابها بعض ماأصاب قبلها غيرها من الاديان كما أخبرنا الله تعالى بقصصها فى كتابه المبين ووعدنا بوقوعنا فيه سيد المرسلين وأرشدنا الى طرائق التخلص منه ان كنا راشدين

أعنى بذلك ماطرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف فى بعض أصولها وكثير من فروعها حتى استولى عليها التشديد والتشويش

وتطرق اليها الشرك الخفي والجلي من يمينها وشمالها فأمست محتاجة الى التجديد بتفريق الغي من الرشد وعندي أن هذه الحال أعم وأعظم سبب للفتور المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) (مرحى)

وأنتم أيها السادة الافاضل فى غناء عن إيضاح ذلك لكم بوجه التفصيل

قال (الأستاذ الرئيس) انى أرى أن البحث فى أعراض الداء وأسبابه وجراثمه وما هو الداء وكيف يستعمل قد نضج أو كاد وقد قررنا فى اجتماعنا الأول أننا سنبحث فى ماهى الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه فى برنامج المباحث وانى أرى أن تقرير أخينا العالم النجدى نعم المدخل لنقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما أجمله لأن مسائل منشأ الديانات وسنن الله فى مسراها وأسباب طوارىء التغير والتحريف عليها كلها مسائل مهمة تقتضى تدقيق النظر واستقصاء التحقيق ويحسن فيها الاطالة والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم النجدى أن يتكرم باعادة ماقرره بصورة مفصلة فى اجتماعنا الآتى اذ اليوم قد أذن لنا الوقت بالانصراف

الاجتماع الرابع

يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

انتظمت الجمعية فى اليوم المذكور صباحا وقرىء الضبط السابق حسب العادة وأذن الأستاذ الرئيس بالشروع فى البحث

فقال (العالم النجدى) انى أستسمح السادة الاخوان عن املائهم بمقدمات وتعريفات هم أعلم منى بها بل هى عندهم فى رتبة البديهيات ولكن لابد منها للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكرى والترتيب القياسى فأقول

ان النوع الانسانى مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لاتتكيف تتصرف فى الكائنات على نواميس منتظمة فالعامة يعبرون عن هذه القوة بلفظ (الطبيعة) والراشدون من الناس مهتدون الى أن لهذه القوة من هو قائم بها يعبرون عنه بلفظ (الله) ثم ان هذا الشعور يختلف قوة وضعفا حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس فى تصور وتوصيف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم أو حسبما يصادفهم من التلقى عن غيرهم وذلك هو (الضلال) (والهداية) على أن الضلال غالب لأن موازين العقول البشرية مهما

كانت واسعة قوية لاتسع وتحمل وزن جبال الأزليـة والابدية والامتثال والازمان والامكان ونحو ذلك مما لصعوبته سمى العلم به علم ماوراء العقل ولهذا لا يقال فى حق الضالين انهم منحطون عقلا عن المهتدين بل كثير منهم فى الماضين والحاضرين أسمى عقلا بمراتب كبيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم أوقعتهم فى بحار من الاوهام وظلمات من الضلال على أن الباري. تعالى قدر اللطف ببعض عباده وأراد إقامة الحجة على الآخرين فاوجد بعض أفراد من البشر يميزون فى تصور توصيف ماهية هذه القوة تميزا كبيرا فصاروا هداة للناس وهم (الانبياء) عليهم الصلاة والسلام

ثم بعض الأنبياء الكرام قاموا فيمن حولهم من الناس مقام المشرعين وأثبتوا ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدى أى عند طلب ذلك منهم أن مخاطبيهم مكلفون من قبل الله تعالى باتباعهم وهم (المرسلون) فآمن بهم من آمن أى شهدوا لهم بالرسالة واتبعوهم فى هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الاوهام الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية وهؤلاء (المؤمنون) فهذه مقدمة أولى (مرحى)

ومن المؤمنين نحن معاشر (المسلمين) علمنا بما علمنا أن محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي أجل البشر حكمة وفضيلة وصدقناه

بانه رسول الله للعالمين كافة مصححا ملة ابراهيم داعيا لعبادة الله وحده هاديا الى ما يكلف الله له عباده من أمر ونهي كافلين لكل خير في الحياة وبعـــد المات

ومن أمهات قواعد ديننا أن نعتقد أن محمدا عليه السلام بلغ رسالته لم يترك ولم يكتم منها شيئا وأنه أتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل التشريع اكمالا لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضا أنه محظور علينا أن نزيد على ما بلغنا اياه رسول الله أو ننقص منه أو نتصرف فيه بعقولنا بل متحتم علينا أن نتبع ماجاء به الصريح المحكم من القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول أو فعله أو أقره وما أجمع عليه الصحابة أن أدركنا حكمة ذلك التشريع أو لم نقدر على ادراكها وأن يترك مايتشابه علينا من القرآن فنقول فيه (آمنا به كل من عند ربنا ومايعلم تاويله الا الله)

ومن قواعد ديننا كذلك أن نكون مختارين في باقي شؤننا الحيوية نتصرف فيها كما نشاء مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو ندب اليها الرسول وتقتضيها الحكمة أو الفضيلة كعدم الاضرار بالنفس أو الغير والرأفة على الضعيف والسعي وراء العلم النافع والكسب بتبادل الاعمال والاعتدال في الامور والانصاف في المعاملات والعدل في

الحكم والوفاء بالعهد الى غيرذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقـــدمة ثانية

ويتفرع عن هاتين المقـدمتين بعض مسائل مهمة ينبغي أيضا افرادها في البحث تباعا واشباعا

منها أن أصـل الايمـان بوجود الصانع أمر فطرى في البشر كما تقدم فلايحتاجون فيه الى الرسل وانمـا حاجتهم اليهم في الاهتـداء الى كيفية الايمـان بالله كما يجب من التوحيد والتنزيه

وهؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والنصارى ومجوس فارس و وثنيو الهند والصين ومتوحشو افريقيا وأمريكا وسائر البشر كلهم كانوا ولا زالوا أهل فطرة دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كليا كما قال عز من قائل (وان من شيء الا يسبح بحمده) وبل البشر يغلب عليهم الاشراك بالله فيخصصونه تعالى شانه بتدبير الامور الكلية والشؤون العظام كالخالقية وتقسيم الارزاق والآجال كأنهم يجلونه عن تدبير الامور الجزئية ويتوهمون أن تحت أمره مقربين وأعوانا و وسائط من ملائكة وجن وأرواح و بشر وحيوانات وشجر وحجر وأنه جعل لهم وللنواميس الكونية من أفلاك وطبائع وللحالات النفسية من سحر وتوجه فكر دخلا وتاثيرا في تدبير الامور الجزئية ايقاعا أو منعا وأعطاهم شيئا من القوة القدسية وعلم الغيب

وتوهمهم هذا ناشىء عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك فى اختصاصهم بتدبير مهمات الأمور وتفويضهم مادون ذلك للعمال والأعوان واستعانتهم بالاخصاء والخدام وربطهم مجرى الأعمال بالقوانين والنظامات (مرحى)

ومن تتبع تواريخ الامم الغابرة وأفكار الامم الحاضرة لايستريب فيما قررناه من أن آفة البشر الشرك الذى أوضحناه فقط وكفى بالقرآن برهانا فقد قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (بل إياه تدعون) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة أن زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجوه فقط لا الانكار ولا الاشراك المطلق لأن العقل البشرى مهما تسفل لاينزل الى درجة الشرك المطلق

بناء عليه جرت عادة الله تعالى جلت حكمته أن يبعث رسل ينقذون الناس من ضلالة الشرك وينتشلونهم من وهدة شره فى الحياة الدنيا والآخرة ويهدونهم إلى رأس الحكمة أى (معرفة الله) حق معرفته لكى يعبدوه وحده وبذلك تتم حجته عليهم ويتمسكون حريتهم التى تحميهم من أن يكونوا أرقاء أذلاء لألف شيء من أرواح وأجسام وأوهام فثمرة الايمان بأن (لا إله إلا الله) عتق العقول من الاسار

وثمرة الاذعان بأن (محمداً رسول الله) اتباعه حقا فى شريعته التى تحول بين المسلم و بين نزوعه الى الشرك وتنيله سعادة الدارين

ثم أن الانسان قتل ماأكفره وقبح ماأجهله لايهتدى الى التوحيد الا بجهد عظيم ويندفع أوينقاد بشعرة الى الشرك فيتلبس به على مراتب ودرجات فى اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى وتتق فى غير الله أو تبعاالله ذاهلا عن أنه لو كان فى الأرض أو فى السماء آلهة غير الله أى أصحاب قوة تصرف فى شىء ولو فى تحريك ذرة رمل لفسدتا .

فالناس سريعو الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنداد لله فيعبدونهم أى يعظمونهم ويخضعون لهم ويدعونهم و يستمدون منهم و يرفعون حاجاتهم اليهم و يرجون عند ذكرأسمائهم الخير و يتوقعون من سخطهم الشر وقدقال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان لممعيشة ضنكا) والله صادق الوعد نافذ الحكم وفى الواقع و بالضرورة والطبع لامعيشة وأشدضنكامن معيشة المشركين الذين وصفهم الله عزوجل بانهم لأنفسهم ظالمون فقال (ان الشرك لظلم عظيم) وقال (ولا يظلم ربك أحداً) وهذا زيد بن عمرو بن نفيل الحكيم الجاهلى ضجر من الشرك فقال من أبيات له

أرباً واحدا أم ألف رب أدين اذا تقسمت الامور

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الخبير

ومثل الحياة الأدبية فى الموحدين والمشركين كبلد سلطانه حكيم قاهر بابه مفتوح لكل مراجع وينفذ قانونا واحدا ولا يصغى لساع ولا لشفيع ولا يشاركه فى حكمه أحد وبلد آخر سلطانه جبان مغلوب على أمره نال منه متقربوه المتماكسون وأعوانه المتشاكسون مراتب من الكرامة ونفوذ الكلمة عنده وأحرزوا سلطة استقصائه ما يشاؤن من حوائج خير لذويهم أو دفع شر عن اتباعهم فهل يستوى أهل البلدين كلا لا تستوى السعادة والشقاء ولله المثل الاعلى فانه جلت عظمته لا يرضى أن يشاركه فى ملكه أحد كما قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) ولاشك أن الشرك من أكبر الفجور وعمل السوء وقد قال تعالى (إن الفجار لفى جحيم) وقال تعالى (ومن يعمل سوءاً يجز به) وما الجحيم والمجازاة خاصان بالآخرة بل يشملان الحياة الدنيا والآخرة

ثم أقول فاذا أراد المسلم أن يعلم ماهو الشرك المشؤوم عند الله بمقتضى ماعرفه إياه فى كتابه المبين لزم أن يعرف ماهو مدلول ألفاظ (إيمان واسلام وعبادة وتوحيد وشرك) فى اللغة العربية التى هى لغة القرآن حيث قال تعالى (إنا جعلناه قرآناً عربيا) وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) فاذا علم المسلم معنى هذه الألفاظ وأراد أن يمثل

أمر ربه بأن لايتعدى حدود الله يتعين حينئذ عنده ماهو مراد الله بالشرك الذى لايرضاه الذى أشفق وأخاف علينا نبينا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه فقال (ان أخوف ماأخاف عليكم الشرك)

ومن يبحث عما ذكر من الألفاظ يجد أن أهل اللغة مجمعون على أن المدلول للفظ (الايمان) الطاعة والتسليم بدون اعتراض وللفظة (العبادة) التذلل والخضوع وللفظة (التوحيد) العلم بأن الشيء واحد ومضافة الى الله نفى الأنداد والأشباه عنه ومن هذه المادة الواحد والأحد صفتان لله معناهما المنفرد الذى لانظير له أو ليس معه غيره وأصل معنى مادة الشرك لغة الخلط واستعمالا اسم للاشراك بالله فى اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله فى (ذاته) أو (ملكه) أو (صفاته)

ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله تعالى بالشرك فى كتابه العزيز على هذه الأنواع الثلاثة نجد مظنة (الاشراك فى الذات) قائمة فى اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عمايصفون أفنى أو يفنى بعض الأشخاص فى ذاته كقول النصارى فى عيسى ومريم عليهما السلام وقول علمائنا فى وحدة الوجود وهذا النوع من الشرك عسر التصور والتفريق حتى عند أساطين أهله ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه علماؤنا حقيقة ذوقية (مرحى)

أما مظانات (الاشراك فى الملك) فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص

بعض المخلوقين بتدبير بعض الشؤون الكونية كاعتقاد اليهود فى ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس تصرف غير الله فى شىء من شؤون الكون كقول من يقول فلان عليه درك البر أو البحر أو الشام أو مصر

وأما مظنات (الاشراك فى الصفات) فهى الاعتقاد فى مخلوق أنه متصف بشىء من صفات الكمال من المرتبة العليا التى لا تنبغى الا لواجب الوجود جلت شؤونه .

وهذا النوع الثالث أكثر شيوعا من النوعين الأولين لثلاثة أسباب الأول كون غير الأحدية والخالقية ونحوها من الصفات الخاصة بالله تعالى صفات مشتركة يعسر على غير العلماء الراشدين تمييز الحد الفارق بين مراتبها فى المخلوقين وبين مراتبها المختصة به تعالى .

الثانى ما نطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بعض الأمور الى الملائكة واستجابة دعاء المقربين واكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ووعده بقبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف

الثالث هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للاغراق والتغالى ومطية سريعة السير لا يلتوى عنانها عن تجاوز الحدود الا برغم الطبع وتوفيق الله ولذلك قاسى الرسل ألوا العزم الشدائد فى كبح جماح الناس عن

اشرا كهم معظميهم مع الله فى مرتبة بعض صفاته العليا وركبوا متون المصاعب والعزائم فى ارجاع الناس الى حد الاعتدال وشددوا النكير على اطراء الناس اياهم وحذروا وأنذروامن مقاربة مظان الشرك حتى الخفى الذى يدب دبيب النمل

ومن المعلوم عندنا أن نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاسى الاهوال فى دعوته الناس الى التوحيد فقط وسمى أمته الموحدين وأنزل الله القرآن ربعه فى التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا إله إلا الله) وجعلت أفضل الذكر لحكمة أن المسلم مهما رسخ فى الايمان يبقى محتاجا الى نفى الشرك عن فكره احتياجا مستمرا وذلك لما قلنا من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه ولشدة قربه منه طبعا فنسأل الله تعالى الحماية (مرحى)

وماهذا خاص بالمسلمين بل مضت الأمم كلها لم يكد يفارقها رسلها الكرام الا ووقعت فى الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرحى)

ثم إذا انقلبنا فى البحث الى ماهو الشرك فى نظر القرآن وأهله لنتقيه نجد ان الله تعالى قال فى حق اليهود والنصارى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) مع أنه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الاحبار والرهبان من ادعى المماثلة ونازع الله الخالقية أو الاحياء

أو الاماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام حسبما تلقوه من مروجي الشرك بالتأويل والايهام بل الاحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى فى التشريع المقدس فقطفقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم أتباعهم ذلك فوصفهم الله أنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً أن الله تعالى سمى قريشا مشركين مع أنه وصفهم بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) أى يخصصون الخالقية بالله ووصف توسلهم بالأصنام الى الله بالعبادة فحكى عنهم قولهم (مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) والمعظمة من المسلمين يظنون أن هذه الدرجة التى هى التوسل ليست من العبادة ولا من الشرك ويسمون المتوسل بهم وسائط ويقولون انه لابد من الواسطة بين العبد والرب وان الواسطة لاتنكر

ويعلم من ذلك أن مشركى قريش ماعبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوهاقبلة يعظمونهابندائها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده فيحبون هذه الأعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو أخلوا فى احترام

تمـاثيلهم يغضبون فيضرونهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد أن الله تعالى قال (فلا تدعو مع الله أحداً) وأصل معنى الدعاء النداء ودعاالله ابتهل اليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى (بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون) وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته فى قوله جلت كلمته (إياك نعبد وإياك نستعين)

وبمـا ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركا به حتى صرح النبي صلى الله عليه وسلم فى الحلف بغير الله أنه شرك فقال (من حلف بغير الله فقد أشرك) وجعل الله القربان لغيره والاهلال والذبح على الأنصاب شركا وحرم تسييب السوائب والبحائر لمنافيها من ذلك المعنى وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بقصد زيارة محلات لاصنامهم يتوهمون أن الحلول فيها يكون تقربا من الاصنام فنهى النبي عليه الصلاة والسلام أمته على مثل ذلك فقال (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى) بناء عليه لاريب أن هذه الاعمال وأمثالها شرك أو مدرجة للشرك (مرحى)

فلينظر الآن هل فشا فى الاسلام شيء من هذه الاعمال وأشباهه فى الصورة أو الحكم ومن لا تأخذه فى الله لومة لائم لايرى بدأ من

التصريح بأن حالة السواد الاعظم من أهل القبلة فى غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه وان الدين عندهم عاد غريبا كما بدا كشأن غيرهم من الامم

فنهم الذين استبدلوا الاصنام بالقبور فبنوا عليها المساجد والمشاهد وأسرجوا لها وأرخوا عليها الستور يطوفون حولها مقبلين مستلمين أركانها ويهتفون بأسماء سكانها فى الشدائد ويذبحون عندها القرابين يهل بها عمدا لغير الله وينذرون لها النذور ويشدون للحج اليها الرحال ويعلقون بسكانها الآمال يستنزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم ويرجونهم بالحاح وخضوع ومراقبة وخشوع أن يتوسطوا لهم فى قضاء الحاجات وقبول الدعوات وكل ذلك من الحب والتعظيم لغير الله والخوف والرجاء من سواه

ومنهم من استعوضوا ألواح التماثيل عند النصارى والمشركين بألواح فيها أسماء معظميهم مصدرة بالنداء تبركا وذكرا ودعاء يعلقونها على الجدران فى بيوتهم بل فى مساجدهم أيضا (١) ويتوجون بها الأعلام من نحو ياعلى ياشاذلى يادسوقى يارفاعى يابهاء الدين النقشى ياجلال الدين الرومى يابكتاش ولى

ومنهم ناس يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكرا مشوبا

(١) بجوامع القسطنطينية و بلاد الترك

بانشاد المدائح والمغالاة لشعراء المتأخرين التى أهون مافيها الاطراء الذى نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام حتى لنفسه الشريفة فقال (لاتطرونى كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم) وبانشاد مقامات شيوخية تغالوا فيها فى الاستغاثة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفروهم لأن أبلغ صيغة تلبية كانت لمشركي قريش قولهم (لبيك اللهم لبيك لاشريك لك غير شريك واحد تملكه وما ملك) وهذه أخف شركا من المقامات الشيوخية التي يهدرون بها انشادا بأصوات عالية مجتمعة وقلوب محترقة خاشعة كقولهم

عبدالقادر ياجيلانى ... ياذا الفضل والاحسان
صرت فى خطب شديد ... من إحسانك لاتنسانى

وقولهم

ألا هم يارفاعى انى ... أنا المحسوب أنا المنسوب
رفاعى لاتضيعنى ... أنا المحسوب أنا المنسوب

الى نحو ذلك مما لايشك فيه شاك أنه من صريح الاشراك الذى يأباه الدين الحنيف

ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع المبين فابتدعوا أحكاما فى الدين سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أوعلم التصوف علما لم يعرف شيئا

منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الاولى المشهود لهم بالفضل في الدين علما نزعوا مسائله من تاويلات المتشابه من القرآن مع أن الله تعالى أمرنا أن نقول في المتشابه منه (آمنا به كل من عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وقال عز شانه في حقهم (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقال تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم) وقال تعالى (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)

وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك المزيدات من مشكلات الأحاديث والآثار ومما جاء عن النبي عليه السلام من قول على سبيل الحكاية أو عمل على سبيل العادات أي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع أو من الأحاديث التي وضعها أساطينهم اغراباً في الدين لأجل جذب القلوب كما ورد في الحديث ومعناه (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبي والرجل فيقول الرجل قد قرأت القرآن فلم أتبع لأقومن به فيهم لعلي أتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به فلم اتبع لاحتظرن في بيتي مسجدا لعلي أتبع فيحتظر في بيته مسجداً فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت في بيتي مسجدا فلم اتبع والله لآتينهم بحديث

لايجدونه فى كتاب الله ولم يسمعوه عن رسول الله لعلى أتبع)

ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الاسلام ولا عهد له بها الى أواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك لنا ديننا ناقصا فهم أكملوه ، أوكأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)

أو كأن النبى عليه السلام لم يتمم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أتموها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسر به الى بعض أصحابه وهم أبو بكر وعلى وبلال رضى الله عنهم وهؤلاء أسروا به الى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل اليهم فافشوه لمن أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عما يأفكون وهل ليس من الكفر باجماع الأمة اعتقاد أن النبى عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئا من الدين (مرحى)

ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعباً فجعلوا منه التغنى والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخدعون بذلك البسطاء ويسترهبون الحمقاء

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحا والخمول خيرا والخبل خشوعا والصرع وصولا والهذيان عرفانا والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل وأحكام النجوم أو الروحانى الزايرجة أو الأبجدات

أو بالنظر فى الماء أو السماء والودع أو باستخدام الجن والمردة الى غير ذلك من صنائع التدليس والايهام والخزعبلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين هم كالأنعام فى كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء كأنه من غريز الكمالات فى دين الاسلام (مرحى)

أفهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكلها اماشرك صراح أو مظنات اشراك حكمها فى الحكمة الدينية حكم الشرك بلا اشكال وماجر الأمة الى هذه الحالات الجاهلية وبالتعبير الأصح رجع بها الى الشرك الأول الا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه مع رقلة علماء الدين وتهاون الموجودين فى الهدى والارشاد

نعم رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبي عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله (مثلى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقع فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها)

وقد قال الله تعالى فى العلماء المتهاونين عن الارشاد كيلا يقابلوا الناس بما لايهوون (ان الذين يكتمون ماأنزل الله من كتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار) وقال الرسول

عليه الصلاة والسلام لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى (نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

بناء عليه فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله فى القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أنذرنا به النبي عليه السلام فى قوله (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا من الناس ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم قال ولننتقل من بحث الشرك والاعراض عن ذكر الله الى بيان أسباب التشديد فى الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول :

قد وجد فينا علماء كان أحدهم يطلع فى الكتاب أو السنة على أمر أو نهى فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعدى الحكم الى أجزاء المأمور به أو المنهى عنه أو الى دواعيه أو الى مايشاكله ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه فى أن يلتمس لكل أمر حكما شرعيا فتختلط الأمور فى فكره وتشبه عليه الأحكام ولاسيما من تعارض الروايات فيلتزم الأشد ويأخذ بالأحوط ويجعله شرعا ومنهم من توسع فصار

يحمل كل مافعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحق كما سبق لنا ذكره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة ومنهم من تورع فصار لايرى لزوما لتحقيق معنى الآية أو للتثبت فى الحديث اذا كان الأمر من فضائل الأعمال فياخذ بالأحوط فيعمل به فيقع فى التشديد ويظن الناس منه ذلك ورعا وتقوى ومزيد علم واعتناء بالدين فيميلون الى تقليده ويرجحون فتواه على غيره

وهكذا بالتمادى عظم التشديد فى الدين حتى صار اصراً واغلالا فكأننا لم نقبل مامن الله به علينا من التخفيف فوضع عنا ما كان على غيرنا من ثقيل التكليف قال تعالى شانه وجلت حكمته (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وقال مبشرا جلت منته (ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم) أى يخفف عنهم التكاليف الثقيلة وعلمنا كيف ندعوه بعد أن بين لنا أنه (لايكلف الله نفسا الا وسعها) فنقول (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) وأمرنا بقوله تعالى (لا تغلوا فى دينكم)

وقد ورد فى الحديث (ان يشاد الدين أحد الا غلبه) وفى حديث آخر (هلك المتنطعون) أى المتشددون فى الدين . وظن بعض الصحابة أن ترك السحور أفضل بالنظر الى حكمة تشريع الصيام فنهاهم النبي

عليه السلام عن ظن الفضيلة فى تركه وقال عمر رضى الله عنه فى حضور رسول الله ﷺ لمن أراد أن يصل النافلة بالفرض (بهذا هلك من قبلكم) فقال النبى عليه السلام (أصاب الله بك يا ابن الخطاب) وأنكر النبى عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاصى التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له (أرغبت عن سنتى) فقال بل سنتك أبغى قال (فانى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأنكح النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى) وقد كان عثمان بن مظعون وأصحابه عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاختصاء وكانوا حرموا الفطر على أنفسهم ظنا أنه قربة الى ربهم فنهاهم الله عن ذلك لانه غلوا فى الدين واعتداء عما شرع فانزل (يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين) أى أنه لايحب من اعتدى حدوده وما رسمه من اقتصاد فى أمور الدين وقد ورد فى الحديث الصحيح قوله عليه السلام (والذى نفسى بيده ماتركت شيئا يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا أمرتكم به وماتركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الانهيتكم عنه) فاذا كان الشارع يامرنا بالتزام ماوضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة فى المزيد وورد فى حديث البخارى (ان أعظم المسلمين جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته) وبمقتضى

هذا الحديث ماأحق بعض المحققين المتشددين بوصف المجرمين وهذه مسألة السواك مثلا فانه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها أنه قال (لولا أن شق على أمتي لامرتهم بالسواك) فهذا الحديث مع صراحته فى ذاته أن السواك لايتجاوز حد الندب جعله الاكثرون سنة وخصصه بعضهم بعود الاراك وعمم بعضهم الاصبع وغيرها بشرط عدم الادماء وفصل بعضهم أنه اذا قصر عن شبر وقيل فتر كان مخالفاً للسنة وتفنن آخرون بان من السنة أن تكون فتحته مقدار نصف الابهام ولا يزيد عن غلظ أصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال يسند بباطن رأس الخنصر ويمسك باصابع الوسطى ويدعم بالابهام قائمـا وفصل بعضهم أن يبدأ بادخاله مبلولا فى الشدق الايمن ثم يراوحه ثلاثا ثم يتفل وقيل يتمضمض ثم يراوحه ويتمضمض ثانية وهكذا يفعل مرة ثالثة وبحث بعضهم فى أن هذه المضمضة هل تكفى عن سنة المضمضة فى الوضوء أم لا ومن قال لاتكفى احتج بنقصان الغرغرة واختلفوا فى أوقات استعماله فى اليوم مرة أو عند كل وضوء أو عند تلاوة القرآن أيضاً حتى البعض صاروا يتبركون بعود الأراك يخللون به الفم يابسا والبعض يعدون له كثيرا من الخواص منها أنه اذا وضع قائمـا يركبه الشيطان والبعض خالف فقال بل اذا ألقى يورث لمستعمله الجذام وكثير من العامة يتوهم السواك

بالأراك من شعائر دين الاسلام الى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش المؤديين الى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من الندب الى تعهد الفم بالتنظيف كيفما كان .

ثم قال (العالم النجدى) هذا ماألهمنى ربى بيانه فى هذا الموضوع وربما كان لى فيه سقطات ولا سيما فى نظر السادات الشافعية من الاخوان كالعلامة المصرى والرياض الكردى لأن غالب العلماء الشافعية محسنون الظن بغلاة الصوفية ويلتمسون لهم الأعذار وهم لاشك أبصر بهم منا معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أظهرنا كليا ولندرتهم فى سواحلنا ولولا سياحتى فى بلاد مصر والغرب والروم والشام لما عرفت أكثر ماذكرت وأنكرت الا عن سماع ولكنت أقرب لتحسين الظن ولكن مابعد العيان لتحسين الظن مجال وما بعد الهدى الا الضلال فنسأل الله تعالى أن يلهمنا سواء السبيل

فأجابه (العلامة المصرى) انا أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معاشر الشافعية نتأول لهم كثيرا مما ينكره ظاهر الشرع ونلتمس له وجوها ولو ضعيفة لأننا نرى مؤسسى التصوف الأولين كالجنيد وابن سبعين من أحسن المسلمين حالا وقالا

وفيما يلوح لى أن منشا ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن الامامة والسياسة العامة الا عهدا قصيرا ومنها كون

المذهب الشافعي مؤسسا على الأحوط والأكمل في العبادات والمعاملات أي على العزائم دون الرخص ومنها كون المذهب مبنيا على مزيد العناية في النيات

بناء عليه فالشافعي في شغل شاغل بخويصة نفسه وهم مستمر من جهة دينه ومحول على تصحيح النيات وتحسين الظنون ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين وحمل أعمال المتظاهرين بالصلاح على الصحة والاخلاص بخلاف العلماء الحنفية فانهم من عهد أبي يوسف لم ينقطع تقلبهم في النظر في الشئون العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في الغرب وامارات أفريقيا والحنابلة والزيدية في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجروح ومحاكات الشؤون لأجل العمل بالأسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بأنهم كانوا ولازالوا بعيدين عن التوسع في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأى وعزيمة وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم (ان الشيطان قد أيس أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش) أى إغراء بعضهم على بعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية فاذا قرؤا القرآن أو الحديث

أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعا للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والأبحاث التي تسبب التشديد والتشويش وأما غيرهم من الأمم الاسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون العناء في استخراج المعاني والمفاهيم ومن طبيعة كل كلام في كل لغة اذا مخضته الأذهان تعبت وتشتتت فيه الأفهام

وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الانقياد سهلت أيضا دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ووداعة أخلاقهم تأبى عليهم إساءة الظن ماأمكن تحسينه فبناء عليه حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الأولين فتبعهم الآخرون

هذا وحيث قلنا أن من خلق المصريين سهولة الانقياد ولا سيما للحق وكذلك علماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصا مايتعلق منها بمظنات الشرك الجالب للمقت والضنك ولا شك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) وقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون

بالله واليوم الآخر) وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذادعاكم لما يحييكم) وقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المنتصرون للمذهب السلفي السديدالمقاومون للبدع والتشديد والحق أن التصوف المتغالى فيه لاتصح نسبته لمذهب مخصوص فهذا الشيخ الجيلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الأستاذالرئيس) ان أخانا العالم النجدي يعلم أن ماأغاض به علينالاغبارعليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بما استشهد به من الآيات البينات براهين دامغة ولله على عباده الحجة البالغةوعبارة التردد التي ختم به خطابه يترك بها الحكم لرأى الجمعية ماهي الا نزعة من فقد حرية الرأى والخطابة فارجوه وأرجوسائر الاخوانالكرام أن لايتهيبوا في الله لومة لائم ورأى كل منا هواجتهاده وماعلى المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الاخلاص فالله كافل بنجاحها وغاية كل منا اعزاركلمةاللهوالله ضامن اعزازه قال تعالى (ان تنصروا الله ينصركم)

نعم هذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هوشديد الوقع والصدع على التائهين في الوهلة الأولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالبا على الوراثة والتقليددون الاستدلال والتحقيق وجارية

على التعاند دون التقانع . على أن أعضاء جمعيتنا هذه وكافة علماء الهداية فى الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هى عين الحق الطاهر الباهر الذى لا يخفى على أحد فكل منهم يختلج فى فكره مايختلج فكر الآخرين عينه أو شبهه لكنه يتهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلسين ويخاف من الانفراد فى الانتقاد فى زمان فشا فيه الفساد وعم البلاد والعباد وقل أنصار الحق وكثر التخاذل بين الخلق

ويسرنى والله ظهور الثمرة الأولى من جمعيتنا هذه أعنى اطمئنان كل منا على اصابة رأيه واطلاعه على أن له فى الآفاق رفقا يرون مايراه ويسرون مسراه فيقوى بذلك جنانه وينطلق لسانه فيحصل على نشاط وعزم فى اعلاء كلمة الله . ويصبح غير هياب لوم اللائمين ولا تحامل الجاهلين . ومن الحكمة استعمال اللين والتدريج والحزم والثبات فى سياسة الارشاد كما جرى عليه الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام وقد بسطت ذلك فى اجتماعنا الأول وسنلاحظه فى قانون الجمعية الدائمة الذى نقرره ان شاء الله بعد استيفاء البحث فى طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة فى اجتماعاتنا الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النها

الاجتماع الخامس

يوم الأحد الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى الوقت المعين فى اليوم المذكور تكامل الاجتماع واستعدت الهيئة للمداولة والسماع وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعية .

قال (الأستاذ الرئيس) سنبحث بعد يومين فى وضع قانون للجمعية الدائمة وانى أرى أن نفوض اللجنة منا من الذين سبق لهم دخول فى جمعيات علمية أو الذين لهم وقوف على مبانى الجمعيات القانونية ولاسيما الغربية المعروفة باسم (أكاديميات) لتنظم لنا هذه اللجنة سانحة قانون نضعها تحت البحث فى الجمعية

وانى أكلف لهذه اللجنة أخانا السيد الفراتى ليقوم بكتابتها وأخانا السعيد الانكليزى ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الأكاديميات وعن مجربات جمعيات ليفربول ورأس الرجا واخواننا العلامة المصرى والصاحب الهندى والمدقق التركى وهذا يرأسهم لانه أسنهم [1]

---

(١) هو من ترك كاشغر لا من اتراك الروم

وهؤلاء خمسة أعضاء فهل تستصوب الجمعية ذلك وترى الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئا .

ثم ابتدر (السعيد الانكليزى) للمقال مخاطبا الأستاذ الرئيس فقال انا مسلمى (ليفر بول) حديثو عهد بالاسلام ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم أعنى بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة لأن أكثرنا قداهتدينا والحمد لله الى الاسلام منتقلين اليه من (البروتستانتية) أى الطائفة الأنجيلية لا من الكاثوليك أى الطائفة التقليدية فنميل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولانثق بقول غير معصوم فيما ندين . وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لنتبع دين محمد نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام لالنتبع الحنفى أو الشافعى أو الحنبلى أو المالكى وان كانوا ثقاة ناقلين

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان فى أمريكا وجنود أفريقيا ونحن راغبون أن نسعى سعيا حثيثا فى الدعوة للدين السامى الاسلامى المبين والأقوام الذين ندعوهم غالبهم متمدنون أى أفكارهم متنورة بالعلوم والمعارف وأكبر أملنا معقود بهداية فئتين اثنتين الأولى البروتستان والثانية الزنادقة

أما أملنا فى البرتستان فلانهم منقلبون حديثا من الكاثوليكية انقلابا ناشئا عن ترجيحهم الاقتصار على الانجيل ومجموعة الكتب

المقدسة متونا فقط أى باهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التى لايوجد لها أصل صريح فى الانجيل. والبروتستان فى أوربا وأمريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم مفطورون على التدين قليلو العناد فى الاعتقاد مستعدون لقبول البحث والانقياد للحق بشرط ظهوره ظهورا عقليا ولاسيما اذا كان الحق ملائما لأسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو انكارهم الرياسة الدينية والرهبانية والتوسل بالقديسين وطلب الشفاعة منهم واحترام الصور والتماثيل والدعاء لأجل الأموات وبيع الغفران والقول بأن للبطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية وأن للبابا صفة العصمة عن الخطأ فى الدين وأن للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة الى غير ذلك مما ينتج فى النصرانية سلطة دينية وتشديدات تعبدية لايوجد لها أصل فى الانجيل

وقد يشبه هؤلاء البروتستان فى رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرائين وهم الآخذون بأصل التوراة والمزامير النابذون للتلمود أى لتفسيرات ومزيدات الأحبار والحاخامين الأقدمين

أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كليا لعدم ملاءمتها للعقل وهؤلاء فى أوربا وأمريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس غالبهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة

سمحاء تريحهم من نصب الكفر فى الحياة الحاضرة فضلا عن العذاب فى الآخرة

ومن غريب نتائج التدقيق أن أفراد هذه الفئة كلما بعدوا عن النصرانية نفورا من شركها وخرافاتها وتشديداتها يقربون طبعا من التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها

فبناء على هذه الأعمال ترى جمعية (ليفربول) أهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة وتصوير حكمه وسماحة الدين الاسلامى للعالم المتمدن فارجو حضرة الأستاذ الرئيس أن يسمح لى بتفهم مسألة الاستهداء على اسلوب المحاورة والمساجلة مع بعض الاخوان الأفاضل فى هذا المحفل العلمى العظيم

فاجابه (الأستاذ الرئيس) بقوله له ساجل من شئت وخاطب من أردت فالاخوان كلهم علماء أفاضل حكماء

فقال (السعيد الانكليزى) مخاطبا العالم النجدى انك يامولاى قد صورت فى مقدمة خطابك فى التوحيد من هو المسلم والزمته العمل بالكتاب والسنة فارجوك أن تعرفنى أولا ماهو الكتاب وماهى السنة ·

فقال (العالم النجدى) أما (الكتاب) فهو هذا القرآن الذى وصل الينا بطريق لاتحتمل الشبهة فيه لاجتماع الكلمة واتفاق الأمة عليه

وتناقلها اياه جيلا عن جيل وحفظا فى الصدور وضبطا فى السطور مع الحرص العظيم على كيفية أدائه لفظا وعلى هيئة املائه كتابة ومع الاعتناء الكامل فى تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته ومع حفظ اللغة العربية المضرية القرشية التى نزل بها بأتقان لامزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظا من التحريف والتغيير وموجبات الريب الى الآن هو أحد وجوه اعجازه حيث جاء مصدقا لقوله تعالى فيه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

أما السنة فهى ماقاله الرسول عليه الصلاة والسلام أو فعله أوأقره ولم يكن صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة وقد اعتنى الصحابة ولا سيما التابعون وتابعوهم رضى الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء وتناقلوها بالرواية والسند المتسلسل متحرين الوثوق منتهى مراتب التحرى والتثبت وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقا تاما وقبولا عاما فى الامة فوصلتنا بكمال الضبط خصوصا منها الكتب الستة

قال (السعيد الانكليزى) لايشك أحد حتى العدو والمعاند فى أنه لم تبلغ ولن تبلغ أمة من الامم شأو المسلمين فى اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبوى أو السنة وكذلك يقال فى اعتنائهم باللغة العربية التى هى آلة فهم الخطاب

وبالنظر الى ذلك كان يجب أن نحرر الشريعة الاسلامية أحسن تحرير فلا يوجد فيها ما وجد فى غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء الائمة فارجوك أن تبين لى ماهو منشأ هذا التشتت الذى نراه فى الاحكام

أجابه (العالم النجدى) ان الاختلافات الموجودة فى الشريعة ليست كما يظن شاملة للاصول بل أصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عليها لان لها فى القرآن أو السنة أحكاما صريحة قطعية الثبوت قطعية الدلالة أو ثابتة باجماع الامة الذى لايجوز العقل فيه أن يكون عن غير أصل فى الشرع

أما الخلافات فانما هى فى فروع تلك الأصول وفى بعض الاحكام التى ليس لها فى القرآن أو السنة نصوص صريحة بل بعض علماء الصحابة رضى الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التى تخالفوا فيها اما تلقياً من بعض الصحابة فكل قلد من صادف واما استنبطوها اجتهادا من نصوص الكتاب أو السنة بالمدلول المحتمل أو بالمفهوم أو بالاقتضاء أو من قرائن الحال أو قرائن القال أو بالتوفيق أو بالتخريج أو التفريع أو بالقياس أو باتحاد العلة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنيــة الثبوت ظنية الدلالة

ولكل واحد من المجتهدين أصول فى التطبيق وقوانين فى الاستنباط يخالف فيها الآخر ومنشا معظمها الخلافات النحوية والبيانية

ثم ان أكثر الخلافات هى فى مسائل المعاملات وعلى كل حال جاحدها لا يكفر باتفاق الأئمة بل المتخالفون لايفسق بعضهم بعضا اذا كان التخالف عن اجتهاد لاعن هوى نفس أوتقصير فى التتبع الممكن للمقيم فى دار الاسلام (مرجى)

قال (السعيد الانكليزى) انى أشكرك على ماأجملت وأوضحت غيرأنك لمتذكر فى جملة أسباب الاختلاف فى اعتبار الناسخ والمنسوخ بين آيتين أوحديثين أوآية وحديث وانى أظن أن ذلك من أعظم أسباب الاختلاف فى الأحكام .

أجابه (العالم النجدى) ان نواسخ الأحكام قليلة ومعلومة والخلاف فيها أقل لأن النسخ فى زمن التشريع لم يحصل الاعن حكمة ظاهرة كالتدريج فى منع السكر حالة الصلاة ثم تعميم منعه . وكتغير المقتضى التوارث بالأخاء وهو القطيعة التى حصلت بين المهاجرين وذوى أرحامهم فى بدء الأمر ثم لما تلاحقوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالنسب . وكالدعوة فى الأول للتوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال ثم به بدون صدع ثم به بدون قتال ثم

به فى أهل جزيرة العرب فقط [١] ثم بتعميمه مع قبول الجزية والخراج من غيرهم (مرحى)

قال (السعيد الانكليزى) ان ما وصفت من أصول الاجتهاد وقوانين استنباط الاحكام قد أنتج خلاف مايأمر الله به فى قوله تعالى (أقيموا الدين ولاتفرقوا فيه) بخلاف ماتقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق .

أجابه (العالم النجدى) انى لاأهتدى لذلك سبيلا [٢] ولعل فى الأخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم

فابتدر (العلامة المصرى) مخاطبا السعيد الأنكليزى وقال ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقا ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك انه لما كان معظم الاختلاف كما قرره أخونا العالم النجدى فى الفروع

---

(١) شرع الأسلام أو السيف خاصا بأهل جزيرة العرب بقصد أحكام الوحدة السياسية فى الوحدة الجنسية لا كما يتوهم الطاعنون فى الأسلامية أنها لم تقم الا بالسيف

(٢) الأديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق فهذه البروتستانية فى ظرف مائتى سنة تفرقت الى مايزيد على مائتى فرقة وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه فى النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافا لايهتدى معه الى نتيجة

دون الاصول وفى السنن والمندوبات والصغائر والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات وكان أكثر الأمة هم العامة الذين لايقدرون أن يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب وبين النفل والمباح أويفرقوا بين الكفر والحرام وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيها والتقوى بل تنقسم الاحكام كلها فى نظرهم الى نوعين أصليين فقط مطلوب ومحظور وبتعبير آخر الى حلال وحرام وكانت احكام الشريعة كثيرة جدا فالعامة يجدون أنفسهم مكلفين بما لايطيقون الاحاطة بمعرفته فضلا عن القيام به ويرون ان لامناص لهم من التهاون فى أكثره أوبعضه فيقوم أحدهم بالبعض دون البعض فياتى بالنفل ويتهاون بالواجب ويتقى المكروه ويقدم على الحرام وذلك كما قلنا لاستكثاره الاحكام وجهله بمراتبها فى التقديم والتأخير (١)

بناء على ذلك أرى لوأن فقهاء الأمة كما فرقوا مراتب الأحكام على المسائل يفرقون المسائل أيضا على مراتب فى متون مخصوصة

فيعقدون لكل مذهب من المذاهب كتابا فى العبادات ينقسم الى أبواب وفصول تذكر فى كل منها الفرائض والواجبات فقط

---

(١) كالاتراك يهتمون بالسنن والمكروهات أكثر من الواجبات والمنهيات

وتنطوى ضمنها الشرائط والأركان بحيث يقال أن هذه الأحكام فى هذه المذاهب هى أقل ماتجوز به العبادات

ويعقدون كتاباً آخر ينقسم الى عين تلك الأبواب والفصول تذكر فيها السنن بحيث يقال ان هذه الاحكام ينبغى رعايتها فى أكثر الأوقات

ثم كتاباً ثالثا مثل الأولين تذكر فيه سنن الزوائد بحيث يقال ان هذه الأحكام رعايتها أولى من تركها

وعلى هذا النسق يوضع كتابا للمنهيات يقسم الى أبواب وفصول تعد فيها المكفرات والكبائر وكذا الصغائر والمكروهات ومثل ذلك نقسم كتب المعاملات على طبقات من الاحكام الاجماعية أو الاجتهادية أو الاستحسانية .

فبمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة أن يعرف ماهو مكلف به فى دينه فيعمل به على حسب مراتبه وامكانه وبهذه الصورة تظهر سماحة الدين الحنيف ويصير المسلم مطمئن القلب مثله كمثل تاجر له دفاتر وقيود وحسابات وموازنات منتظمة فيعيش مطمئن الفكر وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته فى أوراق منتثرة ومعاملاته مشتتة متزاحمة فى فكره لايعرف ماله وماعليه فيعيش عمره مرتبك البال مضطرب الحال (مرحى)

قال (المحدث اليمنى) اننا معاشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما أننا لم نزل بعيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزله على مذهب السلف فى الدين بعيدين عن التفنن فيه ومسلكنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الاحكام على أصول اجتهاد الامام زيد ابن على بن زين العابدين أو أصول الامام أحمد بن حنبل وانى أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين وعسى أن يعلم المسلمون ولاسيما الاتراك ومن يحكمون أننا من أهل السنة لا كما يوهمون أو يتوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاثة مراتب العلماء والقراء والعامة .

فالطبقة الأولى (العلماء) وهم كل من كان متصفا بخمس صفات

(١) أن يكون عارفا باللغة العربية المضرية القرشية بالتعلم والمزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لامعرفة احاطة بالمفردات ومجازاتها وبقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لايتيسر اتقانه الا لمن يفنى ثلثى عمره فيه مع أنه لاطائل تحته ولالزوم لاكثره الا لمن أراد الادب

(٢) أن يكون قارئا كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معانى مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة المأخوذة من السنة والآثار وتفاسير الرسول عليه

السلام أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الاحكام لاتجاوز المائة والخسين آية عدا [1]

(٣) أن يكون متضلعا فى السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعى تابعيهم فقط بدون قيد بمائة ألف أومائتى ألف حديث بل يكفيه ما كفى مالكا فى موطئه وأحمد فى مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لاتجاوز الألف وخمسمائة حديث أبدا [2]

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبى ﷺ وأصحابه واحوالهم من كتب السير القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبى وابن كثير ومن قبلهم وكابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهرى وأضرابهم

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطرى لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين [3] والفلسفة اليونانية والالهيات الفيثاغورسية وبابحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة واغرابات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخريجات الفقهاء المتأخرين وحشويات

---

(١) وقد أحاط بها التفسير الأحدى الهندى

(٢) وقد أحاط بها الامام الشوكانى اليمنى

(٣) قد حقق الغربيون أن لا ثمرة من المنطق كليا فأهملوه مع أنهم يعتنون بالبحث عن وسائط تفاهم العجماوات

الموسوسين وتزويقات المرائين وتحريفات المدلسين (مرحى)

فأهل هذه الطبقة يجتهدون بانفسهم ولا يقلدون الابعد الوقوف على دليل من يقلدون فاذا وجدوا فى المسألة قرآنا ناطقا لا يتحولون عنه لغيره مطلقا واذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية عليه مفسرة له . ثم مالم يجدوه فى كتاب الله أخذوه من صحيح سنة رسول الله ﷺ سواء كان الحديث مستفيضا أم غير مستفيض عمل به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين أم لم يعمل به الا واحد فقط ومتى كان فى المسالة حديث صحيح لا يعدلون عنه الى اجتهاد . ثم اذا لم يجدوا فى المسالة حديثا يأخذون باجماع علماء الصحابة ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم فان وجدوا مسالة يستوى فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجح يقوم فى الفكر لا يتبعون فيه أصولا موضوعة غير مشروعة أو طرقا مقررة غير مرفوعة وأهل هذه الطبقة عندما ينورون أذهانهم باصول استدلالات الامام زيد رضى الله عنه وغيره من الأئمة فى تخريجهم الأحكام واستنباطها من النصوص لا يتقيد بتقليد أحدهم خاصة دون غيره لأنهم لا يجوزون اتباع أحد اذا رأوا ما ذهب اليه فى المسالة بعيدا عن الصواب فلا يقلدون أحدا تقليدا مطلقا كأنه نبى مرسل

والطبقة الثانية هم ( ) وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى

قراءة فهم بالاجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يستهدون فى اصول الدين بانفسهم لأنها مبنية غالبا على قرآن ناطق أو سنة صريحة أو اجماع عام مفسر لغير الناطق والصريح

واما فى الفروع فيتبعون احد العلماء الموثوق بهم عند المستهدى من الأقدمين أو المعاصرين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل الى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود التعصب للمذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يهديهم العلماء مع بيان الدليل بقصد الاقناع فالعلماء عندنا لايجسرون على أن يفتوا فى مسالة مطلقا مالم يذكروا معها دليلها من الكتاب او السنة او الاجماع حتى ولو كان المستفتى أعجميا أميا لايفهم ما الدليل وطريقتهم هذه هى طريقة الصحابة كافة والتابعين عامه والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من أهل القرون الاربعة أجمعين (مرحى)

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبنى على مقاصد مهمة أعظمها تضييق دائرة الجراءة على الافتاء بدون علم وفى هذا التضييق على العلماء توسعة على المسلمين وسدا لباب التشديد فى الدين والتشويش على القاصرين

وهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله فى النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد

فالعالم عندنا لا يستطيع أن يجيب الا عن بعض مايسأل ولا يأنف أن يقف عند لاأدرى بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريره اذا أجابه بان فلانا المجتهد يقول ان الله أحل كذا أوحرم كذا لأن السائل لا يعلم مايعلم هو من أن هذا المجتهد الذى ليس بمعصوم كثيرا مايخالف فى قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن أنه يتردد فى رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن أكثر دلائله اما ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أو ظنيتهما ومن أنهم يدونون ماقاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا فى الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفى واثبات وكم زيف أصحابه اجتهاده ورأوا غير مارآه ومن أنه أى المجتهد انما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه وصرح بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعة الخطا

فهذا (الامام مالك) رضى الله عنه يقول مامن أحد الا وهو ماخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المنصور لما حج واجتمعوا بمالك أراده على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على المصحف فقال مالك لاسبيل الى ذلك لان الصحابة افترقوا

بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام فى الامصار يريد السنة ليست بمجموعة فى موطئه الذى جمع فيه مرويات أهل المدينة

وحكى فى اليواقيت والجواهر أن (أباحنيفة) رضى الله عنه كان يقول لاينبغي لمن لايعرف دليلي أن يأخذ بكلامى وكان اذا أفتى يقول هذا رأى النعمان بن ثابت يعنى نفسه وهو أحسن ماقدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم البيهقى أن (الشافعى) رضى الله عنه كان يقول إذا صح الحديث فهو مذهبي وفى رواية اذا رأيتم كلامى يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامى الحائط وانه قال يوما للمزنى ياإبراهيم لاتقلدنى فيما أقول وانظر فى ذلك لنفسك فانه دين وكان يقول لاحجة فى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويروى عن (أحمد بن حنبل) رضى الله عنه أنه رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه وقال تكتب رأيا لعلى أرجع عنه وكان يقول ليس لأحد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لاتقلدنى ولا تقلدن مالكا ولا الأوزاعى ولا الحنفى ولاغيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترفيع بالرأى واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد

ونقل الثقاة أن سفيان الثورى رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه فغرقها جميعها

وروى عن أبى يوسف وزفر رحمهما الله تعالى أنهما كانا يقولان لايحل لأحد أن يفتى بقولنا مالم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبى حنيفة انك تكثر الخلاف لأبى حنيفة فقال لأنه أوتى من الفهم مالم نؤت فأدرك مالم ندرك ولايسعنا أن نفتى بقوله مالم نفهم دليله ونقتنع (مرحى)

ثم قال أيها الاخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذرونى فانى من قوم ألفوا ذكر الدليل وان كان معروفا مشهورا وقد ذكرت طريقة علماء العرب فى الجزيرة منوها بفضلها لابفضلهم على غيرهم بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهنا وأدق نظرا وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن فى تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين فى أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد .

نعم لم يبق فى الامكان أن يأتى الزمان بأمثال ابن عمر وابن العباس أو النخعى وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعى أو أحمد والبخارى رضى الله عنهم أجمعين ولكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لايفقه الا أمثال هؤلاء النوابغ العظام أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)

وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلايتدبرون القرآن) بناء عليه فما معنى دعوى العجز والتمثل بمن قالوا (قلوبنا غلف) حمانا الله تعالى (مرحى)

أما السنة النبوية أفلم تصل الينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزاهم الله خيرا الذين جابوا الأقطار والبلاد التى تفرق اليها الصحابة رضى الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الاحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير افراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام

وكذا يقال فى حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعانى الغريب فى القرآن والسنة فان علماء التابعين وتابعيهم والناسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهدا فى ضبطها وبيانها

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظير على النظير فهم أرشدونا الى الاستهداء وماأحد منهم دعانا الى الاقتداء به مطلقا (مرحى)

ثم انا اذا أردنا أن ندقق النظر فى مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم علماً وهبياً أو كسبياً خارقا للعادة فهذا الامام

الشافعى رحمه الله وهو أغزرهم مادة وأول وأعظم من وضع أصولا لفقه نجده قدأسس مذهبا على اللغة فقط من حيث المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب والغير مرتب والفور والتراخى والحروف ومعانيها الى قواعد أخرى لاتخرج عن علم اللغة واتبع أبى حنيفة فى ادخاله فى أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمتين والنتيجة والقياس المنتج .واتبعه أيضا فى قياس لم يرد فيه قرآن أوحديث على ماورد فيه وهكذا فتح كل من أولئك الأئمة العظام لمن بعده ميدانا واسعا فجاء أتباعهم ومدوا الاطناب وأكثروا من الابواب وتفننوا فى الاشكال وتنويع الاحكام واحدثوا على الأصول والكلام . وهذا التوسيع كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وماأشبه الأمور الدينية بالأمور المعاشية كلما زاد التأنق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذى فيه فصل الخطاب أن الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا أن نتبع الأعلم الأفضل بل كلفنا بأن نستهدى من كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا بجهدنا حيث قال

تعالى (لايكلف الله نفسا الاوسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل

قال (الأستاذ الرئيس) انى أحمد الله على توفيقه ايانا الى هذا الاجتماع المبارك الذى استفدنا منه مالم نكن نعلمه من قبل عن حالة اخواننا وأهل ديننا فى البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئا الا من السواح المتكدين الجهلاء الذين لا يعرفون مايصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم الذين ربما يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرحى) ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال واذن لنا الوقت بالانصراف

الاجتماع السادس

يوم الاثنين الثانى والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى الضحى الأول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها وقرىء الضبط السابق واستعدت الأذهان لتلقى مايفيضه الله على ألسنة أهل الايمان من الاخوان

قال (الأستاذ الرئيس) مخاطبا (الشيخ السندى) انك يامولانا لم تشاركنا فى البحث الى الآن فنرجوك أن تقدم لاخوانك من

بحار عرفانك ما تنور بها أفكارنا ونرجوك أن لا تحتشم فى تزويق بعض التعبيرات اللغوية لغلبة العجمة عليك فان لك أسوة بالفيروزابادى والفخر وغيرهم

(فقال الشيخ السندى) انكم أيها الشبان والاخوان سراة أفاضل الزمان وسباق فرسان من ميدان قد أفدتم وأجدتم ولم تتركوا القائل من مجال ولا لملى غير الأصفار والامبدل وانى أحب أن أذكر لكم حالتى وفكرتى قبل هذه الاجتماعات وما أثرته فى هذه المفاوضات فأقول

انى من خلفاء الطريقة النقشبندية وحيث كان والدى المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للاقاليم الشرقية والجنوبية فى الهند وقد صرت بعد والدى مرجعا لخلفائها ثم جرت لى سياحات مشهورة فى تلك الأرجاء وفى أيالات كاشغر وقازان حتى سيبيريا وممالك الانجليز وبسبب حرصنا على تعميم طريقتنا صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسلمى هاتيك الديار

ومن المعلوم أن طريقتنا من أقرب الطرائق للاخلاص وأقلها انحرافا عن ظاهر الشرع وهى مؤسسة فى الذكر القلبى وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد والاستعداد من الروحانيات وانى لم أكن أفكر قط فى أن الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة فى الدين ولا أن المراقبة والاستفاضة والاستعداد من

أرواح الأنبياء والصالحين فيها مظنة الشرك الى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة فسمعت وقنعت وأقلعت والحمد لله

على انى عزمت أيضا على ان أتلطف فى الأمر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى أن أتوفق لهداية جماهير النقشبندية فى تلك البلاد والى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلبا ولسانا بدون عدد مخصوص معين قياما وقعودا وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية معينة متى شاؤا وأرادوا ويستعوضوها بالدعاء بالغفران والرحمة لكل من الشيخ بهاء الدين النقشى مرشدهم الأعلى ولخليفته مرشدهم الأدنى الذى هم مبايعوه

وقد فتح الله على ببركة جمعيتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين فى هاتيك البلاد صالحهم وفاسقهم للانتساب الى احدى الطرائق الصوفية وكنت قبلا أحمل ذلك على مجرد اخلاص المرشدين والآن اتضح لى أن السبب هو أن السادة الفقهاء عندنا من الحنفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضييقا لايعلم ان الله تعالى يطلبه من عباده وكثروا الأحكام فى المعاملات تكثيرا ضيع الناس وشوش الأفتاء والقضاء حتى صار المسلم لايكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته مالم يكن فقيها

فتوسيع الفقهاء دائرة الأحكام أنتج تضييق الدين على المسلمين

تضييقا أوقع الأمة فى ارتباك عظيم ارتباكا جعل المسلم لايكاد يمكنها أن يعتبر نفسه مسلما ناجيا لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على مايتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون بالعزائم بناء على ذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون فى أنفسهم التهاون اضطرارا فيهون عليهم التهاون اختيارا كالغريق لايتحذر البلل .

لأنه كيف يطمئن الحنفى العامى حتى الاطمئنان فى الاستبراء لتصح طهارته وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت العجمة لسانه لتصح صلاته . وكذلك كيف يصحح الشافعى العامى نيته على مذهب امامه فى الصلاة أويعرف شدات الفاتحة الثلاث عشرة و ينتبه لاظهارها كلها ليكون أدى فريضته .

بل أى عامى يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتاويل الوجه واليد واليدين وتعيين الجزء الاختيارى واضافة الأعمال له أوالله الى غير ذلك ليكون عند الحنفية الماتريدية والشافعية الأشاعرة مسلما مقلدا يرجى له قبول الايمان ومن من العامة يحيط علما بكل ماثبت بالنص القاطع حتى صفرة بقرة بنى اسرائيل مثلا لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جملته انفساخ نكاحه .

وكم من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعى بانه نسل سفاح ومقيم

على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح الى غير ذلك مما ينافى سماحة الدين ومزية التدين به فى الدنيا قبل الآخرة .

فبناء على هذا التضييق صار المسلم لايرى لنفسه فرجا الا بالالتجاء الى صوفية الزمان الذين يهونون عليه الدين كل التهوين (مرحى)

وهم القائلون أن العلم حجاب وبلمحة تقع الصلحة وبنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وليا وبنفحة فى وجه المريد أوتفلة فى فمه تطيعه الأفعى وتحترمه العقرب التى لدغت صاحب الغار عليه الرضوان وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة · وهم المقررون بان الولاية لاينافيها ارتكاب الكبائر كلها الا الكذب وان الاعتقاد اولى من الانتقاد وان الاعتراض يوجب الحرمان أى ان تحسين الظن بالفساق والفجار أولى من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين والاعمال التى تجعله نوعا من اللهو الذى تستانس به نفوس الجاهلين .

على أن الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين وأين هم لفروا منهم فرارهم من الاسد لان ليس عند هؤلاء الا التوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض افراط الشهوات وتصفية القلوب من شوائب الشره فى حب الدنيا وحمل الطبائع بوسائل القهر والتمرين

على الاستئناس بالله وبعبادته عوضا عن الملاهى المضرة وذلك طلبا راحة الفكرية والعيشة الهنية فى الحياة الدنيا والسعادة الابدية فى الآخرة· وأين التهوين السالف البيان لصوفية الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقة ومن حقائق العرفان المعنوية التى لا يعرفها ويتلبس بها الا من وفقه الله وكشف عن بصيرته · وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان أن من أعز كلمة الله أعزه الله ومن نصر الله نصره الله ومن توقع الخير أو الشر جازما نال ما توقع · ومن تصف نفسه يلهم رشده ومن اتكل على الله حقا كفاه الله ما أهمه ومن دعا الله مضطرا أجاب دعاءه الى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (مرحى)

قال (الاستاذ الرئيس) قد أحسن أخونا الشيخ السندى توصيفه المتفقهة المتشددة والمتصوفة المخففة وانى ملحق تقريره بما يناسب ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فاقول

قد كان التنسك فى المسلمين شيمة لاكثر الصحابة والتابعين ثم ان التوسع فى الدنيا قلل عدد المتنسكين فصار لاهله حرمة مخصوصة بين الناس وصار بعض المتفرغين يقصدون نوال هذه الحرمة بالتلبس بالتنسك والزام النفس بالتمرن عليه وحيث كان من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا الصوف دثارا واسم الفقر شعارا فغلب عليهم

باسم الصوفية واسم الفقراء ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المعتزين بالتنسك أحبوا التميز بالرياسة أيضا فصاروا يدعون الناس الى التنسك ويرشدونهم الى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الارشاد واسم الطريق .

وحيث كانت ارادة الاعتزاز بالدين ارادة حسنة لان فيها اعزاز لكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الاولين ولا على البعض النادر من المتاخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية فى صحراء أفريقيا .

أما دخول الفساد على التصوف واضراره بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندى وغيره من الاخوان الكرام فقد نشا من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لما رأوا توسع الفقهاء فى الشرع وتفنن المتكلمين فى العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس تلامذته فى الالهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا وألبسوها لباسا اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن

وهكذا بعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحتا

ثم جاء منهم فى القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالا

فى جهل اكثر الامة لان يحوزوا بينهم مقاما كمقام النبوة بل الالوهية باسم الولاية والقطبانية أو الغوثية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف فى الملكوت فوسعوا فلسفة التصوف باحكام تشبه الحكم بنوها على مزخرف التاويلات والكشف والتحكمات والمثال والخيال والأحلام والأوهام وألفوا فى ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة محشوة بحكايات مكذوبة وتقريرات مخترعة وقضايا وتركيبات لامفهوم لها البتة حتى ولا فى مخيلة قائليها كأن قارئيها أو سامعيها لايتصورون لها معنى مطلقا وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويتلفظ بأن للقوم اصطلاحات لاتدرك الا بالذوق الذى لايعرفه الامن شرب مشربهم

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفرا ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذى ادعوه بعد مماتهم لأن فى تعظيم شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالاباحيين . وبعضهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلاقه اعظاما لانفسهم فى نظر حمقاء الامة[1] نسبوا اليه الغلو وعزوا اليه كتبا ومقالات لايعرفها ومنهم الأفاعيون يفعلون ذلك حتى فى عهدنا هذا ولاحول ولاقوة الا بالله

(١) لعلمهم بأن أكثر الناس حمقاء لاسيما الأمراء ودأبهم تعظيم العظام البالية حتى لو فرض أن أحيي الله أصحابها لاعرضوا عنهم ومالوا الى أموات غيرهم

ثم قال (الاستاذ الرئيس) للخطيب القازانى إن الاخوان يترقبون منه أيضا أن يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية

فقال (الخطيب القازانى) إن الاخوان الافاضل لم يتركوا قولا لقائل ولذلك لا أجد ما أتكلم فيه وانما أقص عليهم مساجلة جرت فى الاستهداء بين مفتى قازان وفرنجى روسى من العلماء المستشرقين العارفين باللغة العربية المولعين باكتشاف وتتبع العلوم الشرقية ولاسيما الاسلامية وقد هداه الله الى الدين المبين فاجتمع بمفتى قازان وقال له أنه أسلم جديدا وهو بالغ من معرفة لغة القرآن والسنة مبلغا كافيا وعالم بموارد ومواقع الخطا علما وافيا فيريد أن يتتبع القرآن وما يمكنه أن يتحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهم ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته لأنه لا يرى وجها معقولا للوثوق بزيد أو عمرو أو بكر أصحاب الأقوال المتضاربة المتناقضة لأن حكم العقل فى الدليلين المتعارضين التساقط وفى البرهانين المتباينين التهاتر فهل من مانع فى الاسلامية يمنعه من ذلك

فاجابه (المفتى) ان أكثرية الأمة مطبقة منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره أحد المجتهدين الاربعة المنقولة مذاهبهم فاطباق الأكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ

فقال (المستشرق) لو كان الصواب قائما بالكثرة والقدوم وان

خالف المعقول لاقتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية ولاقتضى كذلك عكس حكم ماصح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن أمته تفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة هى التى هو وأصحابه عليها وقد وقع ماأخبر به وكل فرقة تدعى أنها هى تلك الواحدة الناجية ولاشك أن الاثنتين وسبعين فرقة أكثر من أى واحدة كانت منها فأين يبقى حكم الاكثرية

فاجابه (المفتى) أنه قد سبقنا من أهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بمزيد علمهم ألوف من الفضلاء وكلهم اعتمدوا لزوم اتباع أحد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة أهلها بدلائلهم لان مدار كنا قاصرة عن أن توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح ومثلنا فى ذلك كالطبيب لايلزمه أن يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ علمه بطبائعها عما دونه أئمة الطب

فقال (المستشرق) نعم ان الطبيب يعتمد على ماحققه الاولون ولكن فيما اتفقوا عليه وأما ما اختلفوا فيه على طرفى نقيض بين نافع أو مسم فلا يعتمد فيه أحد القولين بل يهملهما ويجدد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق لان اعتماده على أحدهما يكون ترجيحا بلا مرجح هذا واننا لنرى ببادىء النظر أن هؤلاء الائمة الاقدمين لايقدروا أن يطلعوا على مالا يقدر المتأخرون أن يطلعوا عليه ويكفينا برهانا على ذلك

(اولا) تخالفهم فى كل الاحكام الا فيما قل وندر تخالفا مهما ما بين موجب وسالب ومحلل ومحرم حتى لم يمكنهم الاتفاق فى نحو مسائل الطهارة وستر العورة وما يحل أكله أو ما لا يحل

(ثانيا) ترددهم فى الاحكام وتقلبهم فى الآراء وذلك كحكم أحدهم فى المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول أصحاب الشافعى انه كان له مذهبان رجع بالثانى منهما عن الاول (ثالثا) اختلاف أتباعهم فى الرواية عنهم كأصحاب أبى حنفية الذين قلما يتفقون على رواية عنه ويؤول ذلك لهم بعض المتأخرين بتعدد مذاهبه فى المسالة الواحدة والحاصل أن الانسان الذى يتقيد بتقليد أحد أولئك الأئمة ولا سيما الامام الاعظم منهم لا يتخلص من قلق الضمير أو يكون كحاطب ليل بناء على ذلك لا بد للمتحرى فى دينه من أن يستهدى بنفسه لنفسه أو يأخذ عمن يثق بعلمه ودينه وصوابية رأيه ولو من معاصريه لان الدين أمر عظيم لا يجوز العقل والنقل فيه المماشاة واتباع التقليد

أجابه (المفتى) نحن لا نحتم بان الصواب مقطوع فيه فى جانب أحد تلك المذاهب بل المقلد منا اما يقول باصابة الكل أو يرجح الخطأ فى جانب من ترك مع احتمال الصواب

فقال (المستشرق) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح لانكم تتحامون المفاضلة بين الائمة واعترافكم

باحتمال الجميع للخطأ يقتضي جواز تركها كلها مع أنكم توجبون اتباع أحدها فليست هذه قضايا لا تتطابق ولا تعقل فلماذا لا تجوزون وأنتم على هذا الارتباك أن يستهدى المبتلى لنفسه فان تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن اتبعه والا كان مختارا وهل يكلف الله نفسا إلا وسعها

أجابه (المفتى) اننا لبعدالعهد لم يبق فى امكاننا التحقيق فما لنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يحتمل الخطأ

قال(المستشرق) ماالموجب لتكليف النفس مالم يكلفها به الله ليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدى بنفسه لنفسه حسب وسعه فان أصاب كان مأجورا وان أخطأ كان معذورا ويكون ذلك أولى من أن ياسر نفسه للخطأ المحتمل من غيره

أجابه (المفتى)انهذا الغيرأعرف منا بالصواب وأقل منا خطأ فتقليده أقرب للحق

قال (المستشرق) هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون أما فى الخلافيات فالعقل يقف عند الترجيح بلا مرجح ولاسيما اذا كنتم لاتجوزون أيضا البحث عن الدليل ليحكم المبتلى عقله فى الترجيح بل تقولون نحن أسراء النقل وان خالف ظاهر النص

أجابه(المفتى) انااذا أردنا أن لانعدمن شرعناالاما نتحقق بانفسنا

دليله من الكتاب أو السنة أو الاجماع تضيق حينئذ علينا أحكام الشرع فلا تفى لحل اشكالاتنا فى العبادات ولا لتعيين أحكام حاجاتنا فى المعاملات فيحتاج كل منا أن يعمل برأيه فى غالب دقائق العبادات والمعاملات ويصير القضاء غير مقيد بإيجابات شرعية وهل من شك فى أن اطراد الآراء وانتظام المعاملات أليق بالحكمة من لا اطراد ولا انتظام .

قال (المستشرق) لاشك فى ذلك ولكن أين الاطراد والانتظام منكم ولا يكاد توجد عندكم مسألة فى العبادات أو المعاملات غير خلافية ان لم تكن فى المذهب الواحد فبين مذهبين أو ثلاث هذا وربما يقال أن توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر أو أقرب للاطراد من الفوضى المحضة فى تفويض الأمر لرأى المبتلى أو تفويض الحكم لحرية القاضى فيجاب على ذلك أن الأمر أمر دينى ليس لنا أن نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذبا وافتراء وافساداً لدين الله على عباده ولو أن الأمر نظام وضعى لما كان أيضاً من الحكمة أن يلتزم أهل زماننا بآراء من سلفوا من عشرة قرون ولا أن يلتزم أهل الغرب بقانون أهل الشرق وعندى أن هذا التضييق قد استلزم ما هو مشاهد عندكم من ضعف حرمة الشرع المقدس

ثم قال (المستشرق) وأعيد قولى أنكم تحبون أن تكلفوا أنفسكم

بمـالم يكلفكم به الله ولوأن فى الزيادات خيرالاختارهاالله لـكم ولم يمنعكم منها بقوله تعالى (مافرطنا فى الـكتاب من شىء) أى ممـايتعلق بالدين[1] وقوله تعـالى (اليوم أكملت لـكم دينكم وأتممت عليـكم نعمتى ورضيت لـكم الاسلام دينا) وقوله تعـالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) ولـكن علم الله الخير فى القدر الذى هدا كم اليه وترك لـكم الخيار على وجه الاباحة فى باقى شئونـكم لتوفقوها على مقتضيات الزمان أى الغير وموجبات الأحوال التى لاتستقر فبناء عليـه اذا أتيتم أكثر أعمالـكم الحيوية باطمئنان قلب باباحتها يكون خـيرا من أن تأتوها وأنتم حيارى لاتدرون هل أصبتم فيها أم خالفتم أمر الله فتعيشون وأفئدتكم هواء تحاذرون فى الدين شؤم المخالفة وفى الآخرة عذابا عظيما وليس هذا من مخافة الله التى هى رأس الحكمة ولامن مراقبة الوازع التى هى مزية الدين بل هذا من الارتباك فى الرأى والاضطراب فى الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم فى الأمور

ثم قال اعلم أيها المفتى المحترم أن هـذه الحالة التى أنتم عليها من التشديد والتشويش فى أمر الدين هى أكبر أسباب انحطاط المسلمين

---

(١) يريد أن القرآن محيط بأحكام الدين ومايناسبه لابكل مافى علم الله كما يتوهم الـكثيرون

بعد القرون الأولى فى شؤون الحياة كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شدده وشوشه عليهم أهل التلمود وكما انحطت الأمم النصرانية لما كانت (أرثوذكسية) مغلظة أو (كاثوليكية) متشددة يتحكم فيها البطارقة والقسيسون بما يشاؤن تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا مايلقنونهم من الأحكام بدون نظر ولاتدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا الانجيل أو يستفهموا معنى التثليث الذى هو أساس النصرانية كما أن التوحيد أساس الاسلامية وبقى ذلك كذلك الى أن ظهرت (البروتستان) أى الطائفة الانجيلية التى رجعت بالنصرانية الى بساطتها الأصلية وأبطلت المزيدات والتشديدات التى لاصراحة فيها فى الاناجيل والى ان اتسع من جهة أخرى عند الأمم النصرانية نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها فتلطفت أيضاً الكاثوليكية والارثوذكسية عند العوام واضمحلتا بالكلية عند الخواص لأن العلم والنصرانية لايجتمعان أبداً كما أن الاسلامية المشوبة بحشو المتفننين تضلل العقول وتشوش الأفكار

أما الاسلامية السمحاء الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد فان صاحبه يزداد إيمانا كلما ازداد علماً ودق نظراً لأنه باعتبار كون الاسلامية هى أحكام القرآن وماثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة فى الصدر الأول لايوجد فيها مايأباه عقل أو يناقضه تحقيق على

وكفى شرفا للقرآن العزيز أنه على اختلاف مواضيعه من توحيد وتعليم وانذار وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عليه ثلاثة عشر قرنا تمخضه أفكار الناقدين المعادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) بل الأمر كما تنبه اليه المدققون المتأخرون أنه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة التلميح أو التصريح فى القرآن أودع الله ذلك فيه ليتجدد اعجازه ويتقوى الايمان به أنه من عند الله لانه من شأن مخلوق أن يقطع برأى لا يبطله الزمان

فهذه القضايا التى قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم تتردد فيها عقول عامة البشر ألوف سنين أصبحت محكوما على أكثرها بأنها خرافات

وكذا يقال كفى السنة النبوية شرفا أنه لم يوجد أعاظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد ما يعزى اليه من الحكم التى قررها غير مسبوق بها على عدد الاصابع مع أن فى السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الاخلاقية والتشريعية والسياسية العلمية ألف مقررات مبتكرة ويتجلى عظم قدرها مع تجدد الزمان وترقى العلم والعرفان

وكفى بذلك ملزما لاهل الانصاف بالاقرار والاعتراف لصاحبها

عليه السلام بالنبوة والافضلية على العالمين عقلا وعلماً وحكمة وحزما وأخلاقا وزهدا واقتداراً وعزما وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقه فى كل ماجاء به واتباعه فى كل ما أمر أو نهى لان الدهر لم يأت بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى)

ثم قال (المستشرق) للمفتى وهذا مادعانى للاسلام والحمد لله وعندى أن لو قام فى الاسلام سراة حكماء دعاة مقدمون لما بقى على وجه الأرض عاقل يكفر بالله

ثم قال وانى أرى أنه لايمضى قرن الا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون فى الدين فيتولون تحرير شريعة الاسلام ويفيضون بها على الانام حتى على أهل الركن والمقام ولايبعد أن تاتى الايام بالبرنس محمد المهتدى الروسى أوالانكليزى مثلا قائما مقام الامام معيدا عز الاسلام بأكمل نظام

أجاب (المفتى) لامانع مما ذكرت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام لايختص بقوم من الأقوام

ثم قال (المستشرق) أيها المفتى المحترم لايطاوعنى لسانى أن أدعى الغيرة على الملة البيضاء الأحمدية أكثر منك انما أناشدك بالله وبحبك لدينك أن تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة فى فكرك وتعيننى على تأليف كتاب يصور حكمة دين الاسلام لسماحته ليكون

سعينا هذا ذخرا عظيما ننال به فخر وثواب اهداء عشرات ملايين بل مئات ملايين من الناس لهذا الدين المبين ولا يكبرن ما أقول على فكرك فان أهل هذا الزمان المتنورين الاحرار لايقاسون بأهل الازمنة المظلمة الغابرة نعم وننال أيضا ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين العريقين تلامذة المدارس العصرية من هجر الاسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات المعطلة بثقل التشديدات المبتدعة فالبدار البدار لأن نفوز بهذه الخدمة التي يعادل أجرها أجر نبي مرسل والله المعين الموفق

أجابه (المفتي) أصبت فيما افتكرت ولنعم ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لعناية جمعية يتكون من تضلع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للاحاطة وحصول الثقة ولسوء الحظ لايوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك يتحتم علينا أن نترك هذا الفكر آسفين وندعو الله تعالى أن يلهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام لقيام بايفاء هذا الواجب

ولما انتهى (الخطيب القازاني) الى هنا قال هذه . . المساجلة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الاسلام غير العرب مع أنهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية

الافرنجية باصول التعليم العربية أسهل من الاصول المعروفة عندنا

قال (المجتهد التبريزى) انى أرى أن فتنة الاسلام فتنتان عظيمتان ولولا قوة أساسه البالغة فوق مايتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن

أما الفتنة (الاولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهى حين تشاجروا فى الخلافة والملك وانقسموا على أنفسهم بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضا وتفرقوا فى الدين لتفرقهم فى السياسة

وأما الفتنة (الثانية) فلم تزل مستمرة وهى أن الخلفاء العباسيين مالوا الى تعميق النظر فى العقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعجام تقربا اليهم فى علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت العدوى الى المناظرة فى الفقه وبيان الاولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل فى الخلافات بين أبى حنيفة والشافعى وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحربا صماء وتركوا بقية المذاهب فاندرست ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد فى جزيرة العرب ومذهب مالك فى الغرب ومذهب جعفر فى بلاد الخزر وفارس فاكثروا التأليف والتصنيف فى هذه المذاهب كل مؤلف يحب أن يبدى ماعنده ليشهر فضله وينال حظه من دنياه زاعما أن غرضه استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب فتزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضا وكان من العلماء

بعض الصلحاء المغفلين شاركوهم فى الفتنة وهم لايشعرون كما قال الله تعالى (واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون) وقوله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)

وهكذا اتسعت دائرة الأحكام فى الشرع فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلا عن الرجوع الى الأصول فاطمأنت الأمة للتقليد وأقبل العلماء على التعمقات فى الدين يعرب المفسر ويتفنن ولو بحكايات قاضى الجن لأنه غير مطالب بدليل و يتفحص المحدث عن نوادر الأخبار والآثار ولو موضوعة لأنه غير مسئول عن سنده ويستنبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للازم اللازم للعلة لأن مجال التحكم واسع وهذه الفتنة لم تزل مستمرة الى أن أوقفها قصور الهمم عند الأكثرين .

على أن هؤلاء المتأخرين أخلدوا الى التقليد الصرف حتى فى مسألة التوحيد التى هى أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين والفارق بين الكفر والاسلام وجعلوا أنفسهم كالعميان لايميزون الظلمة من النور ولاالحق من الزور وصاروا يحسنون الظن فى كل مايجدونه مدونا بين دفتى كتاب لأنهم رأوا التسليم أهون من التبصر والتقليد

أستر للجهل . وصار أهل كل اقليم أو بلد يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافيات مدارا لتطبيق الأحكام على الهوى لايبالون بحمل اثقال الناس فى الدين على عواتقهم يزعمون ان التسليم أسلم وانهم أسراء النقل وان خالف ظاهر النص ويتوهمون أن اختلاف الأئمة رحمة للأمة .

نعم اختلاف الأئمة يكون رحمة اذا حسن استعماله ويكون نقمة اذا صار سببا للتفرقة الدينية والتباغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السلفيين وبين أهل مصر والغرب والشام والترك وغيرهم من المتسلمين وبين أهل عراق وفارس والصنف الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الأباضيين فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم انهم وحدهم أهل السنة والجماعة وأن سواهم مبتدعون أو زائغون فهل والحالة هذه يتوهم عاقل أن هذا التفرق والانشقاق رحمة لانقمة وسببه وهو التوسع فى الأحكام سبب خير لاسبب شر .

وكذلك المجتهدين فى كل فرقة من تلك الفرق لايتصور العقل أن يكون رحمة الا بقيد حسن استعماله والا فيكون نقمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكى وحنفى وشافعى مثلا .

والمراد من حسن استعمال الخلاف هو أن كل قوم من المسلمين

قد اتبعوا منهبا من المذاهب ترجيحا أو وراثة أو تعصبا ولابد أن يكون فى المذهب الآخذ به كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التى لاتناسب أخلاق أولئك القوم أولاتلائم أحوالهم المعاشية وطبائع بلادهم فيضطرون الى الاقدام على أحد أمرين اما التمسك بتلك الأحكام وان أضرت بهم أوالجنوح الى تقليد منهب اجتهادى آخر فى تلك الأحكام فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلمين الى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثانى فيقلدون فى هذه الحالة المذاهب الأخرى ولكن بعد النظر والتدقيق فى الأدلة كما كان شأنهم فى نفس مذاهبهم الاصلية لئلا يكونوا مقلدين تقليدا أعمى لايجوزه الدين أساسا الا للجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هى الطريقة المتبعة الى اليوم فى بلاد فارس والعلماء المتصدرون لذلك هم أفراد من نوابغ العلماء المتضلعين فى علوم مآخذ الدين أكثرهم ولا سيما الايرانيون منهم متفقهون ومتخرجون على مذهب الامام (جعفر الصادق) رضى الله عنه المدون عندهم ويطلق أهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) تجوزا واتباعا لعادة الأعجام فى التغالى فى التبجيل ونعوت الاحترام ومن ذلك يعلم أن ما يظنه فيهم اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على أحوالهم لا من تفوهات السياسيين غير صحيح فاهم كما يقولون عنهم مجتهدون فى أصول

الذين يجوزون الرأى فى الاجماعيات يخرجون الاحكام أخذا من الدلائل الظنية ولو لم يقل بها أحد من علماء الصحابة أو التابعين وأعاظم أئمة الهداية الاولين فما أحرى ان يسمى مجتهدو فارس بمرجحين أو مخرجين أو فقهاء مدققين

ثم أن البعض وصفوا المقلد لاحد المذاهب اذا أخذ فى بعض الاحكام بمذهب آخر ملفقاً وآخذه تلفيقا واستعملوا لفظة تلفيق فى مقام التلاعب من الدين أو الترقيع القبيح والحال ليس ماسموه بالتلفيق الا عين التقليد من كل الوجوه ولابد لكل من اجاز التقليد أن يجيزه لانه اذا تأمل فى القضية يجد القياس هكذا يجب على كل مسلم عاجز عن الاستهداء فى مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها من أهل الذكر أى يقلد فيها مجتهداً كل مقلد عاجزا طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فبناء عليه ويجوز له ان يقلد فى كل مسألة دينية مجتهدا ما

وعلى هذا الاعتبار ما المانع للمسلم المقلد أن يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو فقيه تابع لمجتهد فاذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته قطرة خمر واعتبره طاهرا كما علمه عالم مالكى غسلا بدون ذلك كما علمه عالم حنفى وبعد حدث موجب توضأ يمسح شعرات فقط من الرأس كما علمه عالم شافعى وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلى صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه

عالم زيدى ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الاولى كما عليه عالم جعفرى فهلا يكون هذا المقلد صلى صلاة تجزئه عند الله بلى ثم بلى تجزئه بالضرورة حتى لا يقوم دليل على أن ذلك خلاف الاولى كما يقال فى حق الخروج من الخلافات لأنه لا يعقل ان يكلف هذا المقلد بأخذ دينه كله من عالم واحد لان الصحابة رضى الله عنهم مع اجتهادهم وتخالفهم فى الاحكام كان يصلى بعضهم خلف بعض مع حكم المؤتم منهم على حسب اجتهاده بعدم صحة صلاة امامه واشتراطه صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الامام . وهل يتوهم مسلم ان ابا حنيفة كان يتمنع أن يأتم بمالك أو يأبى ان يأكل ذبيحة جعفر كلا بل كانوا اجل قدرا من ان يخطر لهم هذا التعصب على بال وما كان تخالفهم إلا من احتياط كل منهم لنفسه

ويوجد فى كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام أو الفقهاء المعروفين بالمرجحين كل منهم كان مجتهدا لم يتقيد بمذهب امامه تماما وخالفه فى كثير أو قليل من الأحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاعه على أدلة مجتهد آخر أو الفتح عليه بما يفتح به على امامه ولأن الدين يلزم المسلم بان يتبع فى كل مسألة منه الشارع لا الامام وأن يعمل فى مواقع الاجتهاد باجتهاده لا باجتهاد غيره وان كان أفضل منه

وهذا أبو حنيفة وأمثاله رحمهم الله تعالى كانوا أفضل من أن يعتقدوا فى أنفسهم الأفضلية على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ومع ذلك خالفوهما فى كثير من الاحكام الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم يزالوا الى الآن يجوزون الأخذ تارة بقول الامام وتارة بقول أحد أصحابه مع أن ذلك هو عين التلفيق فلماذا لايجوز الحنيفة مثلا التلفيق بين أقوال أبى حنيفة والشافعى أو غيره وليس فيهم من يقول ان أصحاب امامهم أفضل من الشافعى ومالك وابن عباس فما هذا الا تفريق بلا فارق وحكم بعكس الدليل

وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم فى دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المعاكسة لامره تعالى (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) مرحى

ثم ختم (المجتهد التبريزى) مقاله بقوله وليس مقامنا الآن مقام استيفاء هذا البحث وانما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلفيق اذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب

ولا شك أن ضرورة التلفيق أهم من الضرورة التى لأجلها جوز الفقهاء الحيل الشرعية مع أنها وصمة عار على الشرع حيث لايعقل أن يقال مثلا ان الشفعة مشروعة دفعا للضرر عن الشريك والجار

ولكن يجوز هذا الاضرار للمحتال أو أن الربا حرام ولكن اذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز تحصيل مقصد الربا أو أن إيتاء الزكاة فرض ولكن اذا أخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استعاده سقطت عنه الزكاة الى غير ذلك من إبطال الشرع وجعل التكليف تخييرا والتقييد إطلاقا ولا حجة لهم فى هذا غير ما رخص الله به لأيوب عليه السلام من التوصل للبر باليمين فى قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وما أبعد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع ولاشك أن بذلك صار المسلمون كأنهم لاشرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتحيلهم على صيد السبت فقط ونحن نجوز الف حيلة مثلها بضرورة وبلاضرورة

بناء عليه من الحكمة أن نلتمس للضرورات أحكاما اجتهادية فيأمر بها الامام ان وجد والا فالسلطان ليرتفع الخلاف فتعمل بها الامة مادام المقتضى باقيا فاذا ألجأ الزمان الى تبديلها بقول اجتهادى آخر فكذلك يأمر به الامام أو السلطان رفعا للخلاف وبمثل هذا التدبير الذى لايأباه شرعنا ولا تنافيه الحكمة نستعوض تلك الحيل المعطلة للشرع المسلمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه باحكام شرعية إيجابية لازيغ فيها وبنحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب ويتخلص القضاء والافتاء من التوفيق على الاهواء وحينئذ يتحقق أن الخلاف فى الفروع

رحمة والحاصل أنه يقتضى على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون الآخر فيكون سعيهم هذا منتجا للتاليف وجمع الكلمة فى الامة قال (الاستاذ الرئيس) انا نشكر أخانا المجتهد التبريزى على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته للدين وقصده التاليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الامام ان وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبخصوص أن التلفيق هو عين التقليد فتقرير يحتاج الى نظر وتدقيق وستقوم بمثل هذه التدقيقات فى المسائل الدينية التى بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التى ستتشكل انشاءالله واليوم قد قرب وقت الظهر وآن أوان الانصراف

الاجتماع السابع

يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقرىء الضبط السابق حسب القاعدة المرعية

قال (الأستاذ الرئيس) مخاطبا السيد الفراتى ان الجمعية لتنتظر منك فوق همتك فى عقدها وقيامك بمهمتها التحريرية أن تفيدها أيضا رأيك الثاقب فى سبب الفتور المبحوث فيه وذلك بعد أن تقرر لها مجمل

الآراء التى أوردها الاخوان الكرام حيث احطت بها علما مكررا بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأنت أجمعنا لهافكرا

هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامى والبليغ الأسكندرى أن يشتركا فى ضبط خطابك بطريقة أنهما يتعاقبان تلق الجمل الكلامية وكتابتهالانهما كباقى الاخوان لايعرفان طريقةفى الاختصارالخطى المستعمل فى مثل هذا المقام .

نظر (الفاضل الشامى) الى رفيقه واستلمح منه القول ثم قال انا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة .

قال (السيد الفراتى) حباً وطاعة وان كنت قصير الطول كليل القول قليل البضاعة ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليهاالفاضل الشامى والبليغ الاسكندرى ومالبث ان شرع فى كلامه . فقال .

يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هذاالفتور المبحوث فيه ناشىء عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو اسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الاسباب منهاأصول ومنها فروع لها حكم بالاصول وكلها ترجع الى ثلاثة انواع وهى اسباب دينية واسباب سياسية وأسباب اخلاقية وانى اقرأ عليكم خلاصاتها من جدول الفهرست الذى أستخرجه من مباحث الجمعية رامزا للاصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) وهى:

النوع الأول الأسباب الدينية

١ تأثير عقيدة الجبر[1] على افكار الامة (ا)

٢ تأثير المزهدات فى السعى والعمل وزينة الحياة (ف)

٣ تاثير فتن الجدل فى العقائد الدينية (ا)

٤ الاسترسال للتخالف والتفرق فى الدين (ا)

٥ الذهول عن سماحة الدين وسهولة التدين به (ا)

٦ تشديد الفقهاء المتاخرين الدين خلافا للسلف (ا)

٧ تشويش افكار الامة بكثرة تخالف الآراء فى فروع احكام الدين (ف)

٨ فقد امكان مطابقة القول للعمل فى الدين بسبب التخليط والتشديد (ف)

٩ ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرة (ا)

١٠ تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه لهواً ولعباً (ف)

١١ افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتاويلات (ف)

---

(١) هكذا بالأصل

١٢ ادخال المدلسين والمقابرية على العامة كثيراً من الأوهام (ا)

١٣ خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهبات (ف)

١٤ إيهام الدجالين والمداجين أن فى الدين أمورا سرية وان العلم حجاب (ا)

١٥ اعتقاد منافاة العلوم الحكمية والعقلية للدين (ا)

١٦ تطرق الشرك الصريح أو الخفى الى عقائد العامة (ف)

١٧ تهاون العلماء العاملين فى تأييد التوحيد (ف)

١٨ الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف)

١٩ التعصب للمذاهب ولآراء المتاخرين وهجر النصوص ومسلك السلف (ف)

٢٠ الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحج (ا)

٢١ العناد على نبذ الحرية الدينية جهلا بعزتها (ف)

٢٢ التزام مالا يلزم لأجل الاستهداء من الكتاب والسنة (ف)

٢٣ تكليف المسلم نفسه مالا يكلفه به الله وتهاونه فيما هو مامور به . (ف)

النوع الثانى الأسباب السياسية

٢٤ السياسة المطلقة من السيطرة والمسئولية (ا)

٢٥ تفرق الأمة الى عصبيات وأحزاب سياسية (ف)

٢٦ حرمان الأمة من حرية القول والعمل وفقد انها الأمن والامل (ف)

٢٧ فقد العدل والتساوى فى الحقوق بين طبقات الامة (ف)

٢٨ ميل الأمراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين (ف)

٢٩ حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (ا)

٣٠ اعتبار العلم عطية يحسن بها الأمراء على الاخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء (ا)

٣١ قلب موضوع أخذ الأموال من الأغنياء واعطائها الفقراء (ا)

٣٢ تكليف الأمراء القضاة والمفتين أمورا تهدم دينهم (ف)

٣٣ ابعاد الامراء النبلاء والاحرار وتقريبهم المتملقين والاشرار (ا)

٣٤ مراغمة الامراء السراة والهداة والتنكيل بهم (ف)

٣٥ فقد قوة الرأى العام بالحجر والتفريق (ف)

٣٦ حماقة أكثر الامراء وتمسكهم بالسياسات الخرقاء (ف)

٣٧ اصرار أكثر الامراء على الاستبداد عنادا واستكبارا (ف)

٣٨ انغماس الامراء فى الترف ودواعى الشهوات وبعدهم عن المفاخرة بغير الفخفخة والمال (ف)

٣٩ حصر الاهتمام السياسى بالجباية والجندية فقط (ا)

النوع الثالث الأسباب الاخلاقية

٤٠ الاستغراق فى الجهل والارتياح اليه (ا)

٤١ استيلاء اليأس من اللحاق بالفائزين فى الدين والدنيا (ف)

٤٢ الاخلاد الى الخمول ترويحا للنفس (ف)

٤٣ فقد التناصح وترك البغض فى الله (ا)

٤٤ انحلال الرابطة الدينية الاحتسابية (ا)

٤٥ فساد التعليم والوعظ والخطابة والارشاد (ف)

٤٦ فقد التربية الدينية والاخلاقية (ا)

٤٧ فقد قوة الجمعيات وثمرة دوامها قيا قا (ا)

٤٨ فقد القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون فى الزكاة (ا)

٤٩ ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال (ف)

٥٠ اهمال طلب الحقوق العامة جبنا وخوفا من التخاذل (ف)

٥١ غلبة التخلق بالتملق تزلفا وصغارا (ف)

٥٢ تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الأميرية على الصنائع (ف)

٥٣ توهم أن علم الدين قائم فى العمائم وفى كل ماسطر فى كتاب (ف)

٥٤ معاداة العلوم العالية ارتياحا للجهالة والسفالة (ا)

٥٥ التباعد عن المكاشفات والمفاوضات فى الشئون العامة (ا)

٥٦ الذهول عن تطرق الشرك وشآمته (ا)

ثم قال (السيد الفراتى) هذه هى خلاصات أسباب الفتور التى أوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن . وحيث كان للخلل الموجود فى اصول ادارة الحكومات الأسلامية دخلا مهما فى توليد الفتور العام فانى أضيف الى الأسباب التى سبق البحث فيها من قبل الأخوان الكرام الأسباب الآتية أعدها من قبيل رؤس مسائل فقط حيث لو أردت تفصيلها وتشريحها لطال الأمر ولخرجنا عن صدد محفلنا هذا

والاسباب التى سأذكرها هى أصول موارد الخلل فى السياسة والادارة الجاريتين فى المملكة العثمانية التى هى أعظم دولة يهم شأنها عامة المسلمين . وقد جاءها أكثر هذا الخلل فى الستين سنة الأخيرة أى بعد أن اندفعت لتنظيم أمورها فعطلت أصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع فتشتت حالها ولاسيما فى العشرين سنة الأخيرة التى ضاع فيها ثلثا المملكة وخرب الثلث الباقى وأشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف حضرة السلطان قوة سلطنته كلها فى سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الأصرار على سياسة الانفراد

وأما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلوا أيضا من بعض هذه الأصول ؛ أن فيها أحوالا أخرى أضر وأمر يطول بيانها واستقصاؤها والأسباب المراد الحاقها ملخصة . هى .

الأسباب السياسية والادارية العثمانيتين

٥٧ توحيد قوانين الادارة والعقوبات مع اختلاف طبائع أطراف المملكة واختلاف الأهالى فى الاجناس والعادات(١)

٥٨ تنويع القوانين الحقوقية وتشويش القضاء فى الأحوال المتماثلة (ا)

٥٩ التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الأطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة فى المركز على احوال تلك الأطراف المتباعدة وخصائص سكانها (ف)

٦٠ التزام أصول عدم توجيه المسئولية على رؤساء الادارة

---

(١) من أهم الضروريات أن يحصل كل قوم من أهالى تركيا على استقلال نوعى ادارى يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هى الحالة فى امارات ألمانيا وولايات أمريكا الشمالية وكما يفعله الانكليز فى مستعمراتهم والروس فى أملاكهم .

والولاة عن أعمالهم مطلقا [١] (ف)

٦١ تشويش الادارة بعدم الالتفات لتوحيد الأخلاق والمسالك في الوزراء والولاة والقوادمع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الأجناس والأقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف)

٦٢ التزام المخالفة الجنسية في استخدام العمال بقصد تعسر التفاهم بين العمال والأهالي وتعذر الامتزاج بينهم لتأمن الادارة غائلة الاتفاق عليها (ف)

٦٣ التزام تفويض الامارات المختصة عادة ببعض البيوت كامارة مكة وامارات العشائر الضخمة في الحجاز والعراق والفرات لمن لا يحسن ادارتها لأجل أن يكون الأمير منفورا ممن ولي عليهم مكروها عندهم فلا يتفقون معه ضد الدولة (ا)

٦٤ التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الأصناف كالمشيخة الاسلامية والسرعسكرية لمن يكون منفورا في صنفه

---

(١) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل التنظيمات الخيرية خيرا منها بعدها حيث كان العمال مسئولين لدى حضرة السلطان ثم أطلق سراحهم في عهدنا من كل مسئولية الا في الأفعال بل الأقوال بل الخواطر التي تتعلق بحقوق السلطنة

العلماء أو الجند لأجل أن لا يتفق الرئيس والمرؤس على أمرمهم[1] (ف)

٦٥ التمييز الفاحش بين أجناس الرعية فى الغنم والغرم[2]

٦٦ التساهل فى انتخاب العمال والمأمورين والاكثار منهم بغير لزوم وانما بقصد اعاشة العشيرة والمحاسيب والمتملقين الملحين

٦٧ التسامح فى المكافاة والمجازاة تهاونا بشؤون الادارة حسنت أم ساءت كأن ليس للملك صاحب

٦٨ عدم الالتفات لرعاية المقتضيات الدينية كوضع نظامات مصادمة للشرع بدون لزوم سياسى مهم أو مع اللزوم ولكن بدون اعتناء

---

(١) هكذا تكون احتياطات الحكومات العاجزة

(٢) كهضم الدولة العثمانية حقوق العرب فى المناصب والارتزاق من بيت المال هضما لا نسبة فيه لأنها مميزة عليهم حال كونهم ثلثى رعيتها كلا من الجركس والبشناق والاكراد والأرناؤط والروم والأرمن والخروات والبلغار والعريكير

وكاستثناء أهل العاصمة والحجاز وغيرهم حتى بعض البيوت من الخدمة العسكرية والتكاليف الشرعية والعرفية .

وكاستثناء غير المسلمين من الخدمة العسكرية لمجرد كونهم لا يتحملون حالة الضنك التى عليها جيشها .

بتفهيمه للامة والاعتذار لها جلبا للقناعة والرضاء (١)

٦٩ تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بالتزام عدم اتباعها وتنفيذها والاصرار على أن تكون الادارة نظامية اسما ارادية فعلا (٢)

٧٠ التهاون فى مجاراة عادات الاهالى وأخلاقهم ومصالحهم استجلابا لمحبتهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية

٧١ الغفلة أو التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترفية السكان بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل

٧٢ الضغط على الافكار المتنبهة بقصد منع نموها وسموها واطلاعها على مجارى الادارة محاسنها ومعايبها وان كان الضغط على النمو الطبيعى عبثا محضا ويتاتى منه الاغراء والتحفز وينتج عنه الحقد على الادارة

---

(١) كاستخدام اليهود قابضى مال أى أمناء صناديق وقابضى أعشار السوائم وفى ذلك عدم رعاية المذاهب التى تستوجب أن لا تسقط الزكاة عن الدافعين وكاستخدام قضاة بالرسوم أو برواتب جزئية جدا

(٢) تعطيل بعض أحكام الشرع كاف لخرق حرمته وأما الاحكام النظامية فمع كثرتها البالغة عشرات ألوف قضايا لم يتفق الى الآن اجراء شيء منها الا بعض ما يتعلق بسلب الاموال

٧٣ تمييز الاسافل فضلا وأخلاقا وعلما وتحكيمهم فى الرقاب الحرة وتسليطهم على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشان ذوى الشؤون يستلزم تسفل الادارة

٧٤ ادارة بيت المـال إدارة إطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب واتلاف بدون حساب حتى صارت المملكة مديونة للأجانب بديون ثقيلة توفى بلادا ورقابا ودماء وحقوقا

٧٥ إدارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة الرعية ولا قبول مناقشة فيها وان كانت ادارة مشهودة المضرة فى كل حركة وسكون

٧٦ ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطلعين على معايبها حذرا من أن ينفثوا ما فى الصدور فتعلم العامة حقائق الامور والعامة من اذا علموا قالوا واذا قالوا فعلوا وهنالك الطامة الكبرى

٧٧ ادارة السياسة الخارجية بالتزلف والارضاء والمحاباة بالحقوق والرشوة بالامتيازات والنقود تبذل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميهم عن المشاهد المؤلمة التخريبية وصبرهم على الروائح المنتنة الادارية ولولا تلك المشاهد والروائح لما

وجد الجيران وسيلة للضغط مع ما ألقاه الله بينهم من العـداوة والبغضاء الى يوم القيامة

ثم قال (السيدالفراقى) ان بعض هذهالأسباب التى ذكرتها هى أمراض قديمةملازمة لادارةالحكومة العثمانية منذنشأتهاومنذ قرون و بعضهاأعراض وقتيةتزول بزوال محدثهاو ربما كان يمكن الصبرعليها لولاأن الخطر قرب والعياذبالله من القلب كاأشاراليهالأستاذ الرئيس فى خطابه الأول (١)

ثم قال انه و يلتحق بهذه الأسباب بعض أسباب شتى أفضلها بعد تعدادها الحاقا بالخلاصات . وهى

---

(١) اشار حضرة الرئيس وهوالأستاذ المكى فى خطابه الأولللحالة السيئة فى الحجازمن فقد الأمن فى بلد الله الأمين . والجور الفظيع الذى يقع على أهل الحرمين وزوارهمامن تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرية وغيرذلكمن الأحوال التىلاتطاق وصار يتشكى منهاعامةالحجاج لاسيما الداخلين تحت سلطة الأجانب وهم السواد الأعظم من المسلمين ولاغرو أن هذهالحال تستدعيهم لأن يدعوا حكوماتهم للمداخلة فى شؤون ادارة الحجاز لأجل حصولهم على الأمن والراحة وحينئذ لاقدر الله يتفانى العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تفانوا قبلا وحدهم فى دفع الصليبيين عن المسجد الأقصى .

أسباب شتى

٧٨ عدم تطابق الأخلاق بين الرعية والرعاة
٧٩ الغرارة أى الغفلة عن ترتيب شؤون الحياة
٨٠ االغرارة عن لزوم توزيع الأعمال والأوقات
٨١ الغرارة عن الاذعان للاتقان
٨٢ الغرارة عن موازنة القوة والاستعداد
٨٣ ترك الاعتناء بتعليم النساء
٨٤ عدم الالتفات للكفاءة فى الزوجات
٨٥ الخور فى الطبيعة أى سقوط الهمة
٨٦ الاعتزال فى الحياة والتواكل

أما عدم التطابق فى الأخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق فى تواريخ الامم من أن أعاظم الملوك الموفقين والقواد الفاتحين كالاسكندرين وعمر وصلاح الدين رضى الله عنهما وجنكيز والفاتح وشرلكان الألمانى وبطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا فى تلك العظائم الا بالعزائم الصادقة مع مصادفة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم فى الأخلاق والمشارب تطابقاً تاماً بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كرأس جمل على جسم ثور و بالعكس وهذا

التطابق وحده يجعل الأمة تعتبر رئيسها رأسها فتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لايكون لها فى غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي

انما الناس بالملوك وهل   يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لاخلاف فيه أن من أهم حكمة الحكومات أن تتخلق بأخلاق الرعية وتتحد معها فى عوائدها ومشاربها ولو فى العوائد الغير مستحسنة فى ذاتها . ولاأقل من أن تجارى الحكومة الاجنبية أخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتياً الى أن توفق لاجتذابهم الى لغتها فأخلاقها فجنسيتها كما فعل الامويون والعباسيون الموحدون وكما تهتم به الدول المستعمرة الافرنجية فى هذا العهد وكما فعل جميع الأعاجم الذين قامت لهم دول فى الاسلامية كآل بوية والسلجوقيين والأيوبيين والغوريين والأمراء الجراكسة وآل محمد على فانهم مالبثوا أن استعربوا وتخلقوا بأخلاق العرب وامتزجوا بهم وصاروا جزءا منهم وكذلك المغول التاتار صاروا فرساً وهنوداً فلم يشذ فى هذا الباب غير المغول الاتراك أى العثمانيين فانهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيرية رعاياهم لهم فلم يسعوا باستترا كهم كما أنهم لم يقبلوا أن يستعربوا والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا أو يتألمنوا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من

أقوالهم التي تجرى على ألسنتهم مجرى الأمثال في حق العرب كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديلنجى عرب). أى العرب الشحاذين واطلاقهم على المصريين (كورفلاح) بمعنى الفلاحين الأجلاف و (عرب جنكنه سى) أى نور العرب و (قبطى عرب) أى النور المصريين .
وقولهم عن عرب سوريا (نه شامك شكرى ونه عربك يوزى) أى دع الشام وسكرياتها ولا تروجوه العرب وتعبيرهم بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود وقولهم (يس عرب) أن عرب قذر و (عرب عقلى) أى عقل عربى أى صغير و (عرب طبيعتى) أى ذوق عربى أى فاسد و (عرب جكه سى) أى جنك عربى أى كثير الهزر وقولهم (بونى يارسه م عرب أوله يم) أى ان فعلت هذا أكون من العرب وقولهم (نرده عرب نرده طنبوره) أى أين العرب من الطنبور .

هذا والعرب لا يقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين الأولى هى قول العرب فيهم (ثلاث خلقن للجور والفساد القمل والترك والجراد)

والكلمة الثانية تسميتهم بالأروام كناية عن الريبة فى اسلاميتهم وسبب الريبة أن الأتراك لم يخدموا الاسلامية بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر أسمائهم على منابرها لم تقم

وأنهم أتوا الاسلام بالطاعة العمياء للكبراء وبخشية الفلك أى المصائب و باحترام مواقد النيرات (أو جاقات) فزادوا بذلك بلات فى طين الخرافات

ثم قال (السيد الفراتى) أرجو المعذرة من المولى الرومى لأنه يعلم أنى ماأفرطت ولولا الضرورة الدينية التى يعلمها لما صرحت والناصح الغيور من يبكيك لا من يضحكك

قال (الأستاذ الرئيس) ان أخانا السيد الفراتى خطيب قوال وفارس جوال والأبحاث التى أشار اليها ذات ذيول طوال مع أن اليوم قد قرب وقت الزوال فموعدنا غدان شاء المولى المتعال

الاجتماع الثامن

يوم الخميس الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندرى ضبط اليوم السابق على العادة المالوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتى باتمام بحثه

فقال (السيد الفراتى) ان من أعظم أسباب الفتور فى المسلمين غرارتهم أى عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لأنه ليس

فيهم من يرشدهم الى شيء من ذلك بخلاف الأمم السائرة فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة . والأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين أو الشراذم الذين لا يتمون لخدمة دينهم فستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق و كتب تدبير المنزل ومفصلات فن الاقتصاد والتواريخ المتقنة والرومانات الأخلاقية والتمثيلية أي كتب الحكايات الوضعية ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين .

على أن الخاصة السالمين من الغرارة علما لايقوون غالبا على العمل بما يعلمون لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية والصبوة ومنها عدم التمرن والألفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم للاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال لا أرى لزوما للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسلمة عند الكافة وهي ماينطوى تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا أن المسلم مصاب وان الله اذا أحب عبدا ابتلاه

---

(١) كما يتربى أولادا أكثر أمرائنا على أيدى اللالات أو الخادمات وما أدراك بتلك الحيوانات

وان أكثر أهل الجنة البـله وان حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان غيرنا مستدرجون وانهم كلاب الدنيا وانهم أعطوا ظاهرا من الحياة الدنيا وانهم فى غفلة عن الموت وغفلة عن أن الدنيا شاخت.

ثم قال فن (الغرارة) فى طبقاتنا كافة من المـلوك الى الصعاليك اننا لانرى ضرورة للاتقان فى الأمور وقاعدتنا ان بعض الشىء يغنى عن كله والحق أن الاتقان ضرورى للنجاح فى أى أمر كان بحيث اذا لم يكن مستطاعا فى أمر يلزم و يتحتم ترك ذلك الأمر كليا والتحول عنه الى غيره من المستطاع فيه ايفاء حق الاتقان .

ومن (الغرارة) توهمنا أن شؤون الحياة سهلة بسيطة فنظن أن العلم بالشىء اجمالا ونظريا بدون تمرن عليـه يكفى للعمل به فيقـدم أحدنا مثلا على الامارة بمجرد نظره فى نفسه أنه عاقل مدبر قبـل أن يعرف ماهى الادارة علما و يتمرن عليها عمـلا و يكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

و يقدم الآخر منا على الاحتراف مثلا ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمـله قربة وقدحا وتعرضه للناس فى مجتمعاتهم ولايرى لزوما لتلقى وسائل اتقان ذلك عمن يرشده مثلا الى ضرورة النظافة له فى قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه ويوهم بصفائه ليشتهى به ومتى

يغلب العطش ليقصد المجتمعات ويتحرى منها الخالية له عن المزاحمين وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله أنه محترف بالاسقاء كفا عن السؤال الى نحو هذا من دقائق اتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن (الغرارة) ظننا أن الكياسة فى (أدرى وأقدر) جوابا للنفس فى مقاصد كثيرة شتى والحقيقة أن الكياسة لاتتحقق فى الانسان الا فى فن واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الاتقان كما قال تعالى (وماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شىء غيره (لاأدرى لاأقدر) لان الاول يتكلف أعمالا لايحسنها فتفسد عليه كلها والثانى يتحرى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم أموره ويهنأ عيشه .

فالملك مثلا وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته فى انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم فى الكليات فالملك مهما كان عاقلا حكيما لايقدر على اتقان أكثر من وظيفه المذكورة فالملك اذا تغرر وتنزل للتداخل فى أمور السياسة أو الادارة الملكية أو الامور الحربية أو القضاء فلا شك أنه يكون كرب بيت يداخل

طباخه فى مهنته ويشارك بستانيه فى صنعته فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكى ولا يدرى أن آفته من نفسه

ومن (الغرارة) اللوث فى الامور أى تركها بلاترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهدا منفردا فى كهف جبل فضلا عن سائس رعية أو صاحب عائلة أن يتخذ له ترتيبا فى شؤونه وذلك بأن يرتب

أولا أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذى لايجد له وقتا كافيا يهمله بالكلية أو يفوضه لمن يفى حق القيام به عنه

ثانيا يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلا من بلده الغالية الأسعار أو التى مظهره فيها يمنعه من الاقتصاد الى حيث يمكنها ترتيبها على نسبة كسبه

ثالثا يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظا اراحة نفسه من الكد فى دور العجز من حياته فيربى أولاده ذكورا واناثا على صورة أن كلا منهم متى بلغ أشده يمكنه أن يستغنى عنه بنفسه معتمدا على كسبه الذاتى ولو فى غير وطنه

رابعا يرتب أموره الأدبية على نسبة حالته المادية أعنى يرتب

أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيبا حسنا فلا يحمل نفسه منها مالاتطيق الاستمرار عليه

خامسا يرتب ميله الطبيعي للمجد والتعالى على حسب استعداده الحقيقي فلا يترك نفسه تتطاول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية أن يبلغها الا بمحض الحظ أي الصدف وخلاصة البحث أن الغرارة من أقوى أسباب الفتور وقد أطلت فى توصيفها وايضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان أن ازالة أسباب الفتور الشخصي ليس من عقبات الامور

ثم قال ان لانحلال أخلاقنا سببا مهما آخر أيضا يتعلق بالنساء وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه أسلافنا حيث كان يوجد فى نسائنا كأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى أخذنا عنها نصف علوم ديننا وكمئات من الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات فضلا عن ألوف من العالمات والشاعرات اللاتى فى وجودهن فى العهد الأول بدون انكار حجة دامغة ترغم أنف غيرة الذين يزعمون أن جهل النساء أحفظ لعفتهن فضلا عن أنه لايقوم لهم برهان على مايتوهمون حتى يصح الحكم بأن العلم يدعو للفجور وأن الجهل يدعو للعفة نعم ربما كانت العالمة أقدر على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة أجسر عليه من العالمة ثم ان ضرر جهل النساء

وسوء تأثيره فى أخلاق البنين والبنات أمر واضح غنى عن البيان انما سوء تأثيره على أخلاق الازواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول

ان الرجال ميالون بالطبع لزوجاتهم والمرأة أقدر مطلقا من الرجل فى ميدان التجاذب للأخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الا من استحكم فيه تعزيز زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حال كون حقيقة الأمر أنها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت وبتعبير آخر يغره أنه امامها وهى تتبعه فيظن أنه قائدها والحقيقة التى يراها كل الناس من حولها دونه أنها إنما تمشى وراءه بصفة سائق لا تابع وما قدر قدرها النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصرا لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجابا محدودا بعدم ابداء الزينة للرجال الأجانب وعدم الاجتماع بهم فى خلوة أو لغير لزوم وأمرت باستقرارهن فى البيوت الالحاجة ولاشك أن ماوراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور وماهذا التحديد الا مرحمة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لأجل أن يعسر عليهن المشى والسعى فى افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذى هو من أهم مقاصد الشرقيين بخلاف

الغربيين الذين لايهمهم غير التوسع فى الماديات والملذات

وقد أمرت الشريعة برعاية الكفاءة فى الزوج وذلك أيضاً مرحمة بالرجال وأكثر الأئمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحرى الكفاءة فى جانب المرأة للرجل وأوجبوا أن يكون هو فقط كفؤاً لها كى لاتهلكه بفخارها وتحكمها على أن لرعاية الكفاءة فى المرأة للرجل أيضاً موجبات عائلية مهمة منها التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل وللتساهل فى ذلك دخل عظيم فى اختلال الأخلاق فى المدن لأن التزوج بمجهولات الاصول أو الأخلاق أو بسافلات الطباع والعادات أو الغريبات جنساً أو الرقيقات مفاسد شتى لان الرجل ينجر طوعاً أو كرهاً لاخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل لامحالة وان كانت غريبة بغضته فى أهله وقومه وجرته لموالاة قومها والتخلق بأخلاقهم ولاشك أن هذه المفسدة تستحكم فى الاولاد أكثر من الازواج

وربما كان أكبر مسبب لاختلال أخلاق الامراء من المسلمين أتاهم من جهة الامهات والزوجات السافلات حيث كيف يرجى من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة (١) أن تترك بعلها وهو فى الغالب أطوع لها من خلخالها أن يجيب داعى شهامة أومروءة أو أن تغرر

---

(١) كالكرجيات الارمنيات والرقيقات الجركسيات أمهات أكثر الأمراء وزوجاتهم

فى رؤس صبيتها أميالا سامية أو تحمسهم على أعمال خطرة كلالا تفعل ذلك أبدا انمـا تفعله الشريفات اللاتى تجدن فى أنفسهن عزة وشهامة (١) وهذا هو سر أن أعاظم الرجال لايوجدون غالبا الامن ابناءو بعول نسوة شريفات أو بيوت قروية وهذا هوسبب حرص أمراء العرب والافرنج على شرف الزوجات .

ثم قال (السيد الفراتى) أيضا وإنى أرى أن هذا الفتور بالغ فى غالب أهل الطبقة العليا من الامه ولاسيما فى الشيوخ مرتبة (الخور فى الطبيعة) لأننا نجدهم ينتقصون أنفسهم فى كل شىء ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل أقدام ويتوقعون الخيبة فى كل أمل ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال فى الأجانب كما ينظر الصبيان الكمال فى آبائهم ومعلميهم فيندفعون لتقليد الأجانب واتباعهم فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدناً وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب فى الدين والافتخار به فمنهم من يستحى من الصلاة فى غير الخلوات وكاهمال التمسك بالعادات القومية فمنهم من يستحى من عمامته . وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر . وكنبذ التحزب للرأى كأنهم خلقوا

---

(٢) كبنات بيوت المجد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الأبيات النفوس

قاصرين . وكالغفلة عن ايثار الأقربين فى المنافع . وكالقعود عن التناصر والتراحم بينهم كى لا يشم من ذلك رائحة التعصب الدينى وان كان على الحق الى نحو ذلك من الخصال الذميمة فى أهل الخور من المسلمين الحيدة فى الأجانب لأن الأجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلى بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عليهم مفارقة حالات ألفوها عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجله وألفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم وألفوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق وألفوا الانقياد ولو الى المهالك وألفوا أن تكون وظيفتهم فى الحياة دون النبات ذاك يتطاول وهم يتقاصرون ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الأرض كأنهم للموت مشتاقون . وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب فى فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازى مفاخر فصاروا يسمون التصاغر أدبا والتذلل لطفا والتملق فصاحة واللكنة رزانة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعا والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غرورا والخروج عن الشان الذاتى فضولا ومد النظر الى الغد أملا والاقدام

تهورا والحيـة حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنونا

ثم قال وليعلم أن الناشئة الذين تعقد الأمة آمالهـا باحلامهم عسى يصدق منها شيء وتتعلق الأوطان بحبال همتهم عسام ياتون فعلاهم أولئك الشباب ومن فى حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم أن شباب رأى القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهـم فيحرصون على القيام بمبانيه الأساسية نحو الصلاة والصوم ويتجنبون مناهيه الأصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لايقصرون بناء قصور الفخر على عظام نخرها الدهر ولايرضون أن يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون أنهم خلقوا أحرارا فيابون الذل والاسار الذين يودون أن يموتوا كراما ولايحيون لاما الذين يجهدون أن ينالوا حياة رضية حياة قوم كل فردمنهم سلطان مستقل فى شؤونه لايحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولدبار لوطنه لايبخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله . الذين يحبون وطنهم حب من يعلم أنه خلق من تراب . الذين يعشقون الانسانية وعلمون أن البشرية هى العلم والبهيمية هى الجهالة . الذين يعتبرون أن خير الناس أنفعهم للناس . الذين يعرفون أن القنوط وباء الآمال والتردد وباء الأعمال . الذين يفقهون أن القضاء والقدرهما السعى

والعمل. الذين يوقنون أن كل ما على الأرض من أثر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتخيلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيرا

وأما الناشئة المتفرنجة أفلا خير فيهم لأنفسهم فضلا عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئا وذلك لأنهم لا خلاق لهم تتجاذبهم الأهواء كيف شاءت لايتبعون مسلكا ولا يسيرون على ناموس مطرد لأنهم يحكمون الحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به تهاونا وكسلا (١) ويرون غيرهم من الامم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومميزاتهم فيميلون لمناظرتهم ولكن لايقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا اتباعا (٢) ويجدون الناس يعشقون أوطانهم فيندفعون

---

(١) أكبر مايشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التى هى عماد الدين ولنخاطبهم بلسانهم فنقول ان الطهارة والوضوء هما عين (التواليت) أو بعضه ويتمان بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هى عين (الجنستيك) وأكمل منه لأنها موزعة ولا تستغرق الركعة منها أكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق . بناء عليه فليبك على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم اللذين لولم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يعرف بها المسلم أخاه لكفى

(٢) هذه حكمة الشرع فى حظره ترك سنة الأسلاف وتقليد الأغيار ولو فى اللباس وهذه الأمم الافرنجية تنفر من التقليد حتى فى القياسات والموازين

التشبه بهم فى التشبيب والاحساس فقط دون التشبث بالاعمال التى يستوجبها الحب الصادق والحاصل أن شؤون الناشئة المتفرنجة أيضا لاتخرج عن تذبذب وتلون ونفاق يجمعها وصف لاخلاق والواهنة خير منهم متمسكون بالدين ولو رياء وبالطاعة ولو عمياء على أنه يوجد فى المتفرنجة أفراد غيورون كالراسخين من أحرار الاتراك المتهيين غيرة تقتضى احترام مزيتهم

ثم قال (السيد الفراتى) ان الخور المبحوث فيه علة معدية تسرى من الشيوخ الى الشباب ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والخمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم لايستهزؤن ولا يعطلون ولا يسفهون ولا يثبطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبدا الا أن تتصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيت وتسلط عليهم أقلام الادباء وألسنة الشعراء بوضع أهاجى وأناشيد بعبائر بسيطة محلات بنكت مضحكة لكى تنتشر حتى على ألسنة العامة وبمثل هذا التدبير تثور حرب أدبية بين الناشئة والواهنة لاتلبث أن تأثر انكسار الفئة الثانية أولئك اليائسين الفاشلين المتواكلين المتقاعسين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شىء الا التعطيل

ومن راجع تواريخ الامم التى استرجعت نشأتها والدول التى جددت عصبيتها يجد من حكمائها ونجبائها مثل حسان قريش وكميت العباسيين ولو الالمانيين وفولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من لاشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد بحمل لواء الناشئة واثارة حرب أدبية حماسية بين الفئتين على أنا نحن تكفينا الضوضاء ولا نحتاج قط للفوضى لان واهنتنا أضعف من أن تحوجنا ننتظر أم حسان تلد حسانا ورب حيلة أنفع من قبيلة (١ ٢ ٣

٣ ٣ ٤ ٠ ٤ ٢ ١ ٧ ٧ ٩٨٤ ٩ ٤ ٨ ١ ١ ١ ٤ ٢ ١ ١

٣ ١ ٢ ٤ ٢ ٨ ٦ ١ ٦ ٤ ٧ ١ ٤ ٣ ٣ ٩ ١ ٧ ٠ ٣ ١

٢ ٢ ٨ ٤ ٢ ٤ ٢ ٤ ٥ ٥ ٢ ٤ ٦ ٢ ٢ ٧ ٤ ٨ ٤ ٣ ٩

٢ ٤ ٥ ٣ ٥ ٣ ٢ ٤ ٧ ٣ ٩ ٣ ٥ ٧ ٨ ٦ ٦ ٧ ٧ ١ ٤

٩ ٣ ٢ ٤ ٤ ٢ ٤ ٢ ٩ ٨ ٣ ٤ ٤ ٢ ٥ ٥ ٤ ٢ ٦ ٦ ٨

٧ ٤ ٣ ٣ ٥ ٠ ٥ ٠ ٩ ١ ٥ ٤ ٧ ٥ ٣ ٩ ٨ ٨ ٢ ٢ ٣

٤ ٨٧ ٥ ٥ ٥ ٨ ٧ ٩ ٤ ١ ٠ ١ ٨ ١ ١ ١ ٦ ٢ ٠ ١ ٤

١ ٤ ٩ ٥ ٢) وهذا أنجع دواء والله ولى النيات

ثم ختم (السيد القرانى) كلامه بقوله هذا ماسنح لى فى هذا المرام وقام وتبادل مع الفاضل الشامى والبليغ الاسكندرى المقام .

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها

وكفانى السيد الفراتى تلخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوما لتلخيص بقية المباحث الدينية .

وقد أعطانى أخونا المدقق التركى رئيس لجنة القانون (السانحة) التى وضعتها اللجنة مطبوعة فى نسخ على عدد الأخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها فى اجتماعنا غدا فى موقع المذاكرة حيث يبحث فيها قضية قضية بدون جزاف واما اليوم فقد حل أوان الانصراف

بادر (السيد الفراتى) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون فأخذوها وتفرقوا

الاجتماع التاسع

يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الفراتى ضبط مفاوضات اليوم السابق حسب الأصول المرعية .

قال (الأستاذ الرئيس) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الأخوان من مطالعة السانحة التى وضعتها اللجنة أن هذا القانون هو الآن فى حكم قانون موقت الى أن تتشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله

وتزاول وظائفها فهى تعيد النظر فيه وتعتنى بتطبيقه على الموجبات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التى سيأتى ذكرها فيه فاذا أمضته صار حينئذ قانونا راسخا

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة حتى اذا كان لأحد الأخوان ملاحظة على بعض الفقرات منه فليبدها عند قراءتها وبعد المناقشة اما تقبل أو ترد أو تعدل بالأكثرية وعلى كل حال تضبط المناقشة فى سجل مخصوص يكون كشرح القضايا يرجع اليه عند اللزوم

ثم أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة لائحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركى رئيس اللجنة أعطاء الايضاحات اللازمة عن المقاصد التى لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياه وعدل بعضها وضبطت المناقشات على حدة

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر المنعقد يوم الاحد الثامن والعشرين من الشهر وجلسة الاجتماع الحادى عشر المنعقد مساء الاحد أى ليلة الاثنين

الاجتماع الثانى عشر

يوم الأثنين التاسع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

فى صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها

أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة القانون الذى تقرر فى الاجتماعات الثلاث السابقة متنا مجردا فقرى. وهذه صورته .

قانون جمعية تعليم الموحدين

المقـــــدمة

قد تقرر فى الجمعية المنعقدة فى مكة المكرمة فى ذى القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف المسماة (جمعية أم القرى)النتائج الآتية

١ المسلمون فى حالة فتور مستحكم عام

٢ يجب تدارك هذا الفتور سريعا والا فتنحل عصبيتهم كليا

٣ سبب الفتور تهاون الحكام ثم العلماء ثم الأمراء

٤ جرثومة الداء الجهل المطلق

٥ أضر فروع الجهل الجهل فى الدين

٦ الدواء هو أولا تنوير الأفكار بالتعليم وثانيا ايجاد شوق للترقى فى رؤوس الناشئة

٧ وسيلة المداواة عقد الجمعيات التعليمية القانونية

٨ المكلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الأمة من السراة والعلماء

٩ الكفاءة لازالة الفتور بالتدريج موجودة فى العرب خاصة

١٠ يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ فى دائرة القانون الآتى البيان باسم (جمعية تعليم الموحدين)

الفصل الاول

فى تشكيل الجمعية

قضية (١)

تتشكل الجمعية من مائة عضو منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون وثمانون فخريون ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لايتعين عددهم .

قضية (٢)

يجب أن يكون الاعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهى

١ سلامة الحواس و كون السن بين الثلاثين والستين ابتداء

٢ الاسلامية من أى مذهب كان من مذاهب أهل القبلة

٣ العدالة بحيث يكون غير متجاهر بمعصية شرعية اجماعية ولا متلبس أومعروف بخلة منافيةللمروءة

٤ المزية بعلم أو جاه أو ثروة (١)

٥ الكتابة باتقان فى لغة ما ولو عامية

٦ النشاط بأن يكون ذا همة ونجدة وحمية

قضية (٣)

يشترط فى الاعضاء العاملين والمستشارين زيادة أربع صفات على ما سبق وهى .

١ المقدرة على التكلم والكتابة بالعربية

٢ امكان الاقامة ثمانيةأشهر فى مركز الجمعية وهى ما عدا ذا الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع الأول

٣ تفرغ العاملين للحضور فى نادى الجمعية أربع ساعات فى كل يوم ما عدا الجمعة والاعياد .

٤ تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد فى كل أسبوع .

---

(١) ليس المقصود من الثروة ذاتها بل اعانتها صاحبها على بعض الأخلاق الشريفه

قضـــية (٤)

يشترط فى الأعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهى .

١ المقدرة على الكتابة فى احدى اللغات الأربع وهى العربية والتركية والفارسية والأوردية

٢ الاستعداد لمراسلة الجمعية باحدى هذه اللغات فى كل شهر مرة بمقالة أو رسالة أو فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية أو هو يتخيره أو الجمعية تستصوبه وتقرره

٣ الاذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها (١)

قضـــية (٥)

تتشكل جمعية عامة فى كل سنة مرة فى أوائل ذى القعدة يدعى اليها جميع الأعضاء حتى المحتسبون فيحضرها الأعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين .

قضـــية (٦)

الجمعية العامة بالمذاكرة والانتخاب الخفى والاكثرية المطلقة

---

(١) قضيه مؤقتة

يبتدىء تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسس وهو يرأسها مؤقتا وله أن ينيب عنه من يشاء وعند ما يبلغ عدد الاعضاء المكتتبين قدرا كافيا يجمعهم لينتخبوا الهيئة العاملة والهيئة المستشارة .

تميز أولا المترشحين للهيئة العاملة ثم المترشحين للهيئة المستشارة

قضـــية (٧)

الهيئات العاملة والمستشارة تجتمعان وبالمذاكرة وأكثرية الثلثين تميزان أولا المترشحين منها للرياسة ولنيابة الرياسة وللكتابة الاولى وللكتابة الثانية ولامانة المال ثم تنتجان من المترشحين رئيساً لاجل سنة ونائب رئيس لاجل سنتين وكاتب أول لاجل ثلاث سنين وكاتباً ثانياً وأمين مال لاجل أربع سنين

قضـية (٨)

الهيئتان العاملة والمستشارة يدققون صفات الذين يراد أن يكونوا من الاعضاء الفخريين أو المحتسبين ثم بالانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة يقبلون أو يردون

قضـــية (٩)

للهيئتين العاملة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عمن يعلم وقوع حالة منه تستوجب ذلك وتتحقق خفيا وتصدق بأكثرية الثلثين

قضـــية (١٠)

الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف وهي

١ تدقيق اجمالي على جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية

٢ تدقيق حساباتها الماضية

٣ تقرير مايلزم التشبث به من الاعمال الكبيرة فى السنة المستقبلة

٤ تقرير نفقات السنة القابلة

قضية (١١)

المركز الرسمى للجمعية مكة المكرمة ولها شعبات فى القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وتفليس وطهران وخيوه وكابل وكلكتة ودهلى وسنكابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة

قضية (١٢)

يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمية المركزية مصغرا وتكون مرتبطة تماماً بالجمية فيما عدا ماليتها وجزئيات أمورها فان لها الخيار أن تكون مستقلة المالية والادارة

قضية (١٣)

تتشكل الشعبات على التراخى ويعطى للبعض المناسب الموقع منها هيئة تصلح معها الآن تتخذ عند مسيس الحاجة هى المركز الأصلى (١)

---

(١) قضية مؤقته

المركز يكون فى السنين الأولى للجمعية فى بورسعيد أو الكويت ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ أو عند اقامة مراكش وأفغان وايران وغيرها وكالات سياسية لها فى مكة وعلى كل حال يكون للجمعية يد قوية فى مكة ولو خفية

الفصل الثانى

فى مبانى الجمعية

قضية (١٤)

الجمعية لا تتداخل فى الشؤون السياسية مطلقا فيما عدا إرشادات واخطارات بمسائل أصول التعليم وتعميمه

قضية (١٥)

ليس من شأن الجمعية أن تكون تابعة أو مرتبطة بحكومة مخصوصة على أنها تقبل المعاونة أو المعاضدة من قبل السلاطين العظام والأمراء الفخام المستقلين والتابعين بصفة حماة فخريين

قضية (١٦)

لاتنسب الجمعية الى مذهب أو شيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام مطلقا

قضية (١٧)

توفق الجمعية مسلكها الدينى على المشرب السلفى المعتدل

وعلى نبذ كل زيادة وبدعة فى الدين وعلى عدم الجدال فيه إلا بالتى هى أحسن

قضية (١٨)

يكون شعار الجمعية القولى (لا نعبد إلا الله) وشعارها الفعلى التزام (المصالحة) على وجه السنة و وجهتها (الغيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) وأهم أعمالها (تعليم الأحداث وتهذيبهم)

تراجع قضية ٤٦ و ٤٧ و ٤٨

قضية ١٩

أعضاء الجمعية لايتكلفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية أى التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم إلا من يصاب ويتضرر بسبب الجمعية

قضية (٢٠)

تتكفل الجمعية باعاشة عدد مخصوص من أصحاب المزايا العلمية الخاصة أو العزائم الخارقة العادة بشرط أن يكونوا مجردين لاعيال لهم أو شبيهين بالمجردين

الفصل الثالث

فى مالية الجمعية

قضية ٢١

نفقات الجمعية تبنى على غايه البساطة والاقتصاد وهى تسعة أنواع

١ اكمال كفاية الهيئة العاملة بمالا يزيدعلى ستين ذهبا انكليزيا لكل واحد فى السنة

٢ رواتب الكتاب والمترجمين والخدم

٣ أجرة محلات المركز والشعبات غير المستقلة مالية

٤ مصاريف البعوث المتجولة

٥ مصاريف المطبوعات

٦ مصاريف التحرير والتأليف

٧ مصاريف البريد والمخابرات

٨ كفاية المكفول أعاشتهم المذكورين فى القضية (٢٠)

٩ المصاريف المتفرقة

قضية ٢٢

تعتمد الجمعية فى الحصول على نفقاتها على جهتين فقط النصف

من ربح مطبوعات الجمعية أى طبع المؤلفات الآتى ذكرها فى الفصل التالى من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه والنصف الآخر من إعانات أصحاب الحمية والنجدة من أمراء وأغنياء الأمة وبعض الأعضاء المحتسبين

قضـــية ٢٣

أمين المـال يكون من أغنياء التجار المشاهير المقيمين فى مركز الجمعية ويكون من جملة الأعضاء المستشارين ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربه ودينه ويكون المـال فى يده بوجه مضمون

أمين المـال يعطى وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوما

قضـــية ٢٤

عليها عدد متسلسل ومرقما فى جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف فى تلك السنه باعتبار غاية الشهر العربى المنصرم

قضـــية ٢٥

مين المـال لايصرف شيئا الا بورقة صرف مطبوعة مرقما عليها أعدد متسلسل وموقعا عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها

ملاحظة موقته

يكفى للجمعية فى السنين الأولى مقدار خمسة آلاف جنيه ذهباً انكليزى فقط وحصول ذلك ليس بذى بال

الفصل الرابع

فى وظائف الجمعية

قضية ٢٦

الهيأتان العاملة والمستشارة بالاتفاق أو أكثرية الثلثين تعيدان النظر فى قانون الجمعية مرة ابتداء ثم كل ثلاث سنين مرة وتنظمان القوانين التى تلزم ويجب مطلقا أن يكون ترتيب القوانين تابعا لقواعد التروى والتدقيق التامين وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه ٠

ولا يصير القانون دستورا للعمل الا بعد قراءته فى الجمعية العامة السنوية وقبوله . ويجوز للهيئتين عند ضرورة تقرير اجراء البعض من أحكام تلك القوانين مؤقتا ثم تعرض على الجمعية العامة الأسباب المجبرة للتعجيل .

قضية (٢٧)

ايقاظ فكر علماء الدين الى الأمور الخمسة الآتية وتنشيطهم للسعى فى حصولها ومساعدتهم بأراءة سهل الوسائل وأقربها وهى .

(١) تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما .

(٢) الترغيب فى العلوم والفنون النافعة التى هى من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمها وتلقيها.

(٣) تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد فى الأمة أفراد نابغون متخصصون

(٤) اصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها بحيث يبقى فى عمر الطالب بقية يصرفها فى تحصيل الفنون النافعة

(٥) الجد وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس

قضية (٢٨)

السعى فى تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب .

(١) لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالمبادىء .

(٢) لتعليم المنتهين الطالبين الاتقان

(٣) لتعليم النابغين الراغبين فى الاختصاص

قضية (٢٩)

الاهتمام فى جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب .

(١) العامة ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة .

(٢) المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة

(٣) العلماء ومعلوهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية .
(٤) النابغون ومعلوهم الأفاضل المتخصصون .

قضية (٣٠)

السعى لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة طبقات العلماء معاملة الأطباء أى بالحجر رسما على من يتصدر للتدريس والافتاء والوعظ والارشاد مالم يكن مجازا من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام فى العواصم

قضيه (٣١)

التوسل لدى الأمراء ان يعطوا لأحد العلماء الغيورين فى كل بلدة صفة محتسب دينى على جماعة المسلمين فى تلك البلدة ويجعلون له مستشارين منتخبين من عقلاء الأهالى وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بأن تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف وبتسهيل تعميم المعارف والمحافظة على الأخلاق الدينية

قضية (٣٢)

التوسل لنيل العلماء مايستحقون من رزق وحرمة ومنعهم عن كل مايخل بصفتهم وشرفهم [1] .

---

(١) كالقعود فى محلات القهوة والتجول فى المجتمعات وركوب الحمير ونحو ذلك ممالايقدم عليه أمثالهم فى الملل السائرة

قضية (٣٣)

التوسل لحمل أهل الطرائق على الرجوع الى الأصول الملائمة للشرع والحكمة فى الارشاد وتربية المريدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الأمة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلا باعاشة وتعليم الأيتام وأخرى بمواساة المساكين وأبناء السبيل وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين وفئة بالتشويق الى الصلاة وغيرها بالتنفير عن المسكرات ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عليهم هذا عوضاً عن العطل والتعطيل

قضية (٣٤)

حمل العلماء والمرشدين وجمعيات الاحتساب على السعي لارشاد أفراد الأمة خصوصاً احداثها الى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الأصول تلائم الاسلامية والحرية الدينية وتفيد ترويض الاجسام وتقوية المدارك وتثمر النشاط للسعي والعمل وتولد الحية والأخلاق الشريفة

قضية (٣٥)

تعتنى الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية ملائمة

للدين وللزمان وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام مطولات الصوفية

وتقوم بوضع مؤلفات اللغة وسطى لاعربية مضرية ولاعامية وجعلها لغة لبعض الجرائد والمؤلفات الأخلاق ونحوها مما يهم نشره بين العوام فقط (١)

قضية (٣٦)

تعتنى الجمعية فى حمل العلماء وجمعيات الاحتساب على تعليم الأئمة مايجب عليهم شرعاً من المجاملة فى المعاملة مع غير المسلمين وماتقتضيه الانسانية والمزايا الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه ورعاية الذمة والتأمين والمساواة فى الحقوق . وتجنب التعصب الدينى أو الجنسى بغير حق .

قضية (٣٧)

تنشر الجمعية رسالة دينية عربية فى كل شهر يكون حجمها نحو مائة صحيفة بحيث يتألف منها كتاب فى كل عام وتكون مباحثها ثمانية أنواع يخصص لكل بحث قسم منها وهى

---

(١) كالاكتفاء بالسين عن الثاء و بالزاى عن الذال والاقتصار على التثنية بالياء والجمع بالواو والنون والقصر بالألف وكقبول الوضع العامى المشهور

١ مقررات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مخابراتها مع شعباتها
٢ مباحث دينية فى موضوع سماحة الدين ومزاياه السامية ودفع مايرمى به من منافاته للحكمة والمدنية .
٣ قواعد أخلاقية ونصائح معاشية
٤ فصول فى العلوم والفنون النافعة والترغيب فيها وأراءه طرائق تلقينها وتلقيها
٥ المقالات المفيدة التى يحررها الأعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الأمة
٦ الاخبار والاعلانات المتعلقة بالنهضة العلمية الاسلامية .
٧ السؤالات والجوابات المهمة .
٨ مباحث وفوائد شتى .

قضية (٣٨)

تكون الابحاث والمقالات الدينية فى الرسالة الشهرية ملاحظا فيها اجتماع السلف أو المواء[illegible] مذهبين فأكثر من المذاهب المدونة المتبعة . ويتعين فى المسائل المهمة الخلافية بأن يقرها بعض مشاهير علماء الهداية من المذاهب [illegible]

قضية (٣٩)

تكون قيمة الرسالة [illegible] [illegible]بة من مصروف تحريرها وطبعها

فقط وترسل لكافة المدارس ومشاهير العلماء بدون عوض على حساب الأمراء والمحتسبين .

قضية (٤٠)

تعتنى الجمعية غاية الاعتناء فى ايصال الرسل للمرسلة اليهم بصورة منتظمة وفى ادخالها لكافة البلاد المأهولة بالمسلمين رغما عن كل مانع فترسل ولو برا مع رواد على نجائب تخترق آسيا وافريقيا الى أقاصيها ولاتعدم الجمعية وسائل كثيرة للايصال

قضية (٤١)

تخصص الجمعيات لمنشوراتها واعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد الاسلامية السياسية . (١) عربية فى مصر (٢) تركية فى القسطنطينية (٣) فارسية فى طهران (٤) أوردية فى كلكته

قضية (٤٢)

تسعى الجمعية فى تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية فى مركز الجمعية لأجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبحوث

قضية (٤٣)

ترسل الجمعية بعوثا جغرافية وعلمية تتجول فى البلاد الاسلامية القريبة والبعيدة للاطلاع على أحوال البلاد وأهلها من حيث الدين

والمعارف ولارشادهم لما يلزم ارشادهم اليه فى ذلك حسبما تقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطعيا

قضية (٤٤)

تسعى الجمعية بعد مضى ثلاث سنين من انعقادها فى اقناع ملوك المسلمين وأمرائهم لعقد مؤتمر رسمى فى مكة المكرمة يحضره وفود من قبلهم ويترأسهم مندوب أصغر أولئك الأمراء ويكون موضوع المذكرات فى المؤتمر السياسة الدينية(١)

قضية (٤٥)

اذا صادفت الجمعية معاوضة فى بعض أعمالها من حكومة بعض البلاد ولاسيما البلاد التى هى تحت استيلاء الأجانب فالجمعية تتذرع أولا بالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة واقناعها بحسن نية الجمعية فاذا توفقت لرفع التعنت فيها والا فلتلجأ الجمعة الى الله القادر الذى لايعجزه شىء .

---

(١) راجع ماورد فى أواخر محاورة الصاحب الهندى والأمير المذكورة بعد هذا القانون

خاتمــة

قضية (٤١)

(سياسة الجمعية) جلب قلوب من تتخير جلبهم ببذل المعروف بجاباة فتتحرى مواساة الانسان عندمصابه وتنقب عن أهم حاجاته أو غاياته فتعينه عليها .

قضية (٤٧)

(مظهر الجمعية) العجز والمسكنة فلا تقاوم ولا تقابل الاباساليب النصيحةوالموعظةالحسنةوتلاطفوتجامل جهدهامن يعادي مقاصدها ولا تلجأ الى الالجاء الا فى الضروريات .

قضية (٤٨)

(قوة الجمعية) الاخلاص فى النية . وعمدتها الثبات على العمل ومسلكها تذليل العقبات واحدة فواحـدة وحصنها الدين الحنيف وسلاحها العلم والتعليم . وجيشها الاحداث والضعفاء . وقوادها حكماء العلماء والأمراء . ورايتها القدوة الحسنة . وغنيمتها بث الحياة فى الموحدين . وغايتهاخدمة المدنيةوالانسانية . وثمرةأعضائهاوانصارها لذة الفكر والفخر ونيل الأجر من الله .

﴿ تم القانون ﴾

قال (الأستاذ الرئيس) هانحن قد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية ايضا ولم يستدرك عليه واحد من الاخوان شيئا فهل أنتم مقروه فاجاب جميع الاعضاء نقره

قال(العلامة المصرى)انى بالنيابة عن هيئة الجمعية أشكر لحضرة الاستاذ المكى براعته فى حسن ادارة الجمعية كما أننى أقدر للمدقق التركى ورفقائه واضعى سانحة القانون قدر فضلهم وحسن احاطتهم ·

وأنى لأرى فى هذا القانون أشعة نور بين القضايا والسطور نور يشرق على المنارات فيغشى بيدر الأهلة ويبهر النسور نور معقود اللواء لنشاة جديدة وحياة حميدة وعاقبة سعيدة . نور يمزق ديجور الفتور ويحيي ميت الشعور وماذلك على الله بعزيز ·

قال (المحقق المدنى) بمناسبة أنى جار للنبي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول الله مسرور بكم أيها الاخوان الكرام يتضرع الى ربه أن يوفقكم فى مشروعكم خدمة لدينه وأمته خدمة تلحقكم بالمجاهدين الصديقين الأولين .

قال (الأستاذ الرئيس) حيث تقرر أن يكون تأسيس الجمعية الدائمة ابتداء فى بورت سعيد أو الكويت بصورة غيرعلنية فى الأول فأرى أن نفوض تعاطى أسباب هذه المهمة للعلامة المصرى والسيد الفراتى فهما بعد ستة أشهر يجتمعان فى مصر وبعد تهيئة الأسباب

وترتيب مايلزم ترتيبه يسعيان أولا بطبع هذه المذكرات مع القانون ثم يهتمان بترجمة ذلك الى بقية أمهات اللغات الاسلامية التركية والفارسية والأوردية فيطبعانها وينشرانها ذكرى وبشرى للمؤمنين ٠

ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعه من آراء وأفكار ذوى الهمم السامية يباشران تعاطى أسباب تشكيل الجمعية من التروى والتأنى اللازمين حكمة وربما لا يساعدهما الزمان فيحتاجان لترقب الفرصة ولو تأخر الأمر الى اجتماعنا الثانى . واخونا السيد الفراتى يعدنا بأنه لا يقطع عنا رسائله واعلامنا بسير المسألة والأمل بعنايته تعالى أن فى اجتماعنا الثانى بعد ثلاث سنين نجد الجمعية الدائمة متشكلة على أحسن نظام

ثم قال الأستاذ الرئيس وأنى على أمل أن الجمعية الدائمة ستلحقنا بأعضائها الفخريين فنخدم مقاصدها الجليلة المتعلقة باعزاز ديننا واخواننا وأنفسنا فننال بذلك أجر المحسنين وشرفا عظيما نفتخر به نحن وأحفادنا من بعدنا الى يوم الدين

ثم قال وان جمعيتنا هذه اذا اختارت أن تجعل مركزها الموقت فى مصر دار العلم والحرية فلها امل قوى فى ان حضرة العزيز (عباس الثانى) يكون عضدا للقائمين باعزاز الدين وحاميا فخريا للجمعية ولا بدع فانه خير أمير شاب نشأ على الغيرة الدينية والحمية العربية

خصوصا جنابه السامى من آل بيت حازوا بين سائر ملوك

الاسلام وأمرائها قصب السبق فى الاطلاع على أحوال الدنيا فاجتهدوا فى الترقيات السياسية والعمرانية والعلمية والتنظيمية والمدنية

حتى أن النهضة العثمانية بكل فروعها مسبوقة فى مصر ومقتبسة عنها بل كما يعلم العارفون انما تقدمت الدولة العلية العثمانية بعض خطوات فى ميدان المدنية والعمران مدفوعة بأيدى المرحومين محمدعلى وابراهيم وفاضل وكامل وغيرهم من الأمراء حتى والأميرات المصريات فما كان رشيد وعالى وفؤاد وكمال ومدحت وعونى وبقية أحرار الاتراك الا وأكثرهم آلات أوجدها ومدها بالقوة هؤلاء العظام ولا غرو فقد يحمل الابن أباه على الرشد وان أباه

ولولا تهاون سعيد وتطاول اسماعيل وسقوط نفوذ الفرنسيس بحرب السبعين وانفراد الانكليز ويأسهم من قبول المريض التمريض وتهاتر قوات الدول بتوازنها لبقيت تلك الحركة مستمرة ولما رجع الشيخ الى دور الاضلال ولا وقع الابن فى دور الاحتلال .

ولهذا لاتفرط الجمعية اذا عقدت الأمل فى مؤازرة هذا الأمر السهل الخطير بذاك العزيز الشاب الكبير اجابة لداعى الحمية وسمو الفكر واغتناما للثواب وفخر الذكر والله الملهم الموفق ونسأله حسن الختام .

خاطب (السيد الفراتى) هيئة الجمعية فقال أيها السادة لاغرو

ان أكون أكثر الاخوان سرورا بانتاج سعي وسياحتي هذه الخطوة الكبيرة فى هذا السبيل وانى مستبشر من تسهيل المولى تعالى البداية أن يسهل السير الى النهاية ولايعز على الله شيء والعزائم لاشك تذلل العظائم .

وانى أيها السادة سأراسلكم ان شاء الله بمهمات مايحصل ويتم ولاأستغنى أن تردفونى بآرائكم ولو عن بعد وتسعفونى بأدعيتكم بالتوفيق . هذا وليس اليوم آخر عهد جمعيتنا بل يلزم أن تجتمع أيضا فى هذا المحفل رابع أيام التشريق فتكون تلك جمعية الوداع . وفيها يكاشفكم حضرة الاستاذ الرئيس عن بعض تدابير وبشائر يجب اسرارها فتوقر فى الصدور لاتسجل ولا تذاع . والى ذاك اليوم يتم بتسهيل الله طبع سجل مذاكرات جمعيتنا الى هذه الساعة (بمطبعة الجلاتين) فيوزع عليكم نسخ منها كما يعطى لكم نسخ من ضبط المناقشات على القانون ونسخ جديدة من مفتاح الكتابة الرمزية تبديلا للمفتاح المختصر الاول مذيلا بتراجم الاخوان بصورة أكثر تفصيلا من الأولى وعلى الله التيسير

ثم قال (السيد الفراتى) أخبركم أيها السادة بأنى أخذت بالأمس رسالة من أخينا الأديب البيروتى الذى لم يمكنه القدر من موافاة

الجمعية كما بينت ذلك قبلا فهو يقرئكم السلام و يدعو للجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين

فقال (الأستاذ الرئيس) وعليه السلام وأمر بقراءة القصيدة فقرئت وأثبت منها باشارة الأستاذ الرئيس بعض أبيات وهى .

غيرتموا ياحيارى مابانفسكم   فغير الله عنكم سائغ النعم
الله لايهلك القرى اذا كفرت   وأهلها مصلحون فى شؤونهم
ترك التآمر بالمعروف أورثكم   ماحاق من نذر يازلة القدم

الى أن يقول

ياقومنا صححوا توحيد بارئكم   بدون اشراك أحياء ولارمم
ونقحوا الشرع من حشو ومخترع   رجعى الى دين اسلاف ذوى ذمم
خذوا بمحكم آيات منزلة   وسنة جاءتنا بأفصح الكلم
دعوا البدائع فى الدين وان حسنت   ولايغرنكم تأويل محتكم
سماحة الدين فى فكر وفى عمل   خير من الاصر والاغلال والسقم
سماحة الدين من الله خالقكم   بها عليكم دعوا الكفران بالنعم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة   سمحاء جاءتكمو بكل مغتنم
راقب فضائلها فى كل فلسفة   قوامها حكمة تفضى الى شمم

حتى يقول

هذى وسيلتكم لاغيرها أبدا   فاسعوا لنهضتكم ياخيرة الأمم

في غير جامعة التوحيد لن تجدوا   من جامع لكموا الستم ذوى رحم

سياسة الدين أولى ماتساس به   شتى الخلائق من عرب ومن عجم

فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم   خضراء سوداء حول الركن والحرم

ذيل

قررت الجمعية في اجتماع الوداع المنعقد في أربع أيام العيد بعض أمور ينبغي أن تسر ولا تذاع غير أنها رأت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط

قرار عدد ٦

ان الجمعية بعد البحث الدقيق والنظر العميق في أحوال وخصال جميع الأقوام المسلمين الموجودين وخصائص مواقعهم والظروف المحيطة بهم واستعداداتهم وجدت أن لجزيرة العرب ولأهلها بالنظر الى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم بناء عليه رأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً وأن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض على أن لبقية الاقوام أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاماً مهماً في بعض وظائف الجامعة الاسلامية مثل ان معافاة حفظ الحياة السياسية ولاسيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين [1] ومراقبة حفظ الحياة

---

(١) لأنهم متقنون فن (الديبلوماتيك) أى المراوغة في المقال والتلون في الأحوال

المدنية التنظيمية يليق أن تناط بالمصريين والقيام بمهام الحياة الجندية يناسب أن يتكفل بها الافغان وتركستان والخزر والقوقاس يميناً ومراكش وامارات افريقيا شمالا وتدبير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير من يتولاها ايران وأواسط آسيا والهند وما يليها

وحيث كانت الجمعية لايعنيها غيرأمر النهضة الدينية بناء عليه رأت الجمعية من الضروري أن تربط آمالها بالجزيرة وما يليها وأهلها ومن يجاريهم وأن تبسط لأنظار الامة ماهي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموما وذلك لاجل رفع التعصب السياسي أو الجنسي ولأجل ايضاح أسباب ميل الجمعية للعرب فنقول

(١) ﴿الجزيرة﴾ هي مشرق النور الاسلامي

(٢) الجزيرة فيها الكعبة المعظمة

(٣) الجزيرة فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة

(٤) الجزيرة أنسب المواقع لان تكون مركزا للسياسة الدينية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقا وأقصى أفريقيا غربا

(٥) الجزيرة أسلم الاقاليم من الاخلاط جنسية وأديانا ومذاهب

(٦) الجزيرة أبعد الأقاليم عن مجاورة الاجانب

(٧) الجزيرة أفضل الاراضى لان تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والمزاحمين نظرا لفقرها الطبيعى

(٨) ﴿ عرب الجزيرة ﴾ هم مؤسسو الجامعة الاسلامية لظهور الدين فيهم (١)

(٩) عرب الجزيرة مستحكم فيهم التخلق بالدين لانه مناسب لطبائعهم الاهلية أكثر من مناسبته لغيرهم

(١٠) عرب الجزيرة أعلم المسلمين بقواعد الدين لانهم أعرقهم فيه ومشهود لهم بأحاديث كثيرة بالمتانة فى الايمان

(١١) عرب الجزيرة أكثر المسلمين حرصا على حفظ الدين وتأييده والفخار به خصوصا والعصبية النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم فى الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وأفريقيا

(١٢) عرب الجزيرة لم يزل الدين عندهم حنيفا سلفيا بعيدا عن التشديد والتشويش

(١٣) عرب الجزيرة أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البدوية (٢)

(١) وكذلك من يتبعهم من العشائر القاطنة بين الفرات ودجلة والنازحين الى أفريقيا

(٢) وبقوة ذلك لم يزالوا يأخذون خراجا ممن يأخذون باسم هدية

(١٤) عرب الجزيرة أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والامهات والزوجات فلم تختل عزتهم

(١٥) عرب الجزيرة أقدم الامم مدنية مهذبة بدليلى سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأدبياتهم

(١٦) عرب الجزيرة أقدر المسلمين على تحمل قشف المعيشة فى سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التغرب والسياحات وذلك لبعدهم عن الترف المذل أهله

(١٧) عرب الجزيرة أحفظ الاقوام على جنسيتهم وعاداتهم فهم يخالطون ولايختلطون

(١٨) عرب الجزيرة أحرص الامم الاسلامية على الحرية والاستقلال وإباء الضيم [1].

(١٩) (العرب عموماً). لغتهم أعنى لغات المسلمين فى المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من أن يموت

(٢٠) العرب لغتهم هى اللغة العمومية بين كافة المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون

(٢١) العرب لغتهم هى اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين المسلمين

(١) هذا سبب عدم انقياد أهل اليمن ومن يليهم للعثمانيين

(٢٢) العرب . أقدم الامم اتباعا لأصول تساوى الحقوق وتقارب المراتب فى الهيئة الاجتماعية .

(٢٣) العرب أعرق الأمم فى أصول الشورى فى الشؤون العمومية(١)

(٢٤) العرب . أهدى الأمم لاصول المعيشة الاشتراكية .

(٢٥) العرب من أحرص الامم على احترام العهود عزة واحترام الذمة انسانية واحترام الجوار شهامة و بذل المعروف مروءة (٢)

(٢٦) العرب أنسب الاقوام لان يكونوا مرجعا فى الدين وقدوة

---

(١) يشهد لهم بذلك القرآن فى قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام حيث قالت تخاطب الملأ أى المستشارين الأشراف (ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون)

(٢) يكفى برهانا على ذلك مجاملة أهل الجزيرة لسواح الأفرنج ماعدا تلك الفعلة التى اندفع اليها ابن صباح ونال عليها بعدها مين رتبة باشا وترجيح اليهود المهجر قللبلاد العربية وعدم اشتراك البلاد العربية العثمانية فى حوادث الارمن الأخيرة كالموصل وماردين وسعرد ونصيبين والمدن العربية من ولاية حلب وأما حوادث لبنان والشام وحلب فى القرن السابق فما كانت تتولد عن تعصب دينى أو جنسى بل عن غرور جماعة من الدروز بالانكليز وجماعة من المسيحيين بنابليون الثالث

للمسلمين حيث كان بقية الاقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يئفون عن اتباعهم أخيراً .

فهذه هى الأسباب التى جعلت جمعية أم القرى أن تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية . والجمعية تسال الله تعالى أن يوفق ملوك المسلمين وأمراءهم للتصلب فى الدين وللحزم والعزم عساهم يحفظون عزهم وسلطانهم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن يحميهم من التعصب السيء للسياسات والجنسيات ومن الكبر والانفة ومن التخاذل والانسقام ومن الانقياد الى وساوس الاجانب الاضداد والافيتابهم الخطر القريب المحدق بهم وتتخاطفهم النسور المحلقة فى سمائهم والله الموفق واليه ترجع الأمور

وهكذا تمت الاجتماعات وختمت المذكرات وانفض الجمع على وعد التلاق

(لاحقة)

يقول (السيد الفراتى) إن بعد تفرق الجمعية نحو شهرين ورد الى من الصاحب الهندى كتاب يذكر فيه أنه بعد مفارقته مكة المكرمة اجتمع بامير جليل فاضل من أعاظم نبلاء الامة ورجال السياسة فاستطلع رأى الأمير فى خصوص النهضة الاسلامية وبعد أن دار بينهما حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الأمير والتهاب غيرته ذكر له

اطلاعه على سجل جمعية ام القرى وأشياء من مذكراتها ومقرراتها فأظهر الأمير سروره من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذى ذكره له فعندئذ وعده باعارته نسخة من السجل ثم أرسلها له . وبعد أيام تلاقيا فدارت بينهما المحاورة الآتية

قال الأمير : أشكرك أيها المولى الصاحب على هذه الهدية العزيزة وياللذة ليلة احيا فى مطالعة تلك المذكرات النفيسة التى لم أتمالك أن أتركها تلك الليلة حتى أتيت على آخرها ثم فى الأيام التالية أعدت النظر فيها بالتدقيق

قال الصاحب : يظهر من عبارة مولاى الأمير استحسانه كيفية تشكل الجمعية وامتنانه من مجرى مذاكرتها

قال الأمير : كيف لا أعجب بذلك ولطالما كنت أتمنى انعقاد جمعية يتضافر أعضاؤها على مثل هذا المقصد وتكون فيهم المزية التى ظهرت على رجال هذه الجمعية الذين حلوا المشكلة حلا سياسيا ودينيا معاً استبعد وجود أكفاء كهؤلاء . وأعظم اعجابى هو فى هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتى كيف اهتدى فى رحلة قصيرة مع اقامته أياما قلائل فى مكة لانتخاب هؤلاء الأعضاء الاجلاء

قال الصاحب : لابد أن يكون هذا الرجل مخلصا فى قصده

فأعانه الله عليه كما ورد فى الخبر اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه فحل فى الأقدار شيئا آن أوانه

قال الأمير : نعم للاقدار دلائل ولنعم البشائر

قال الصاحب : أود أن أستفيد من مولاى الامير وجوه اعجابه بهذه الجمعية ومذاكرتها لاصحح رأيي فى بعض انتقادات تختلج فى فكرى القاصر فان أذن لى اعرضها عليه · مسألة مسألة

قال الامير : قل ولعلى أقف على مالم أنتبه اليه

قال الصاحب : يظهر أن أعضاء الجمعيـة ليس بينهم بعض من السياسيين المحنكين فلو وجد ربما كانت تأتى المقرات أكثر أحكاما ·

قال الامير : لا أظن أن فى الامراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى كعبا فى السياسة من بعض هؤلاء الأعضاء الذين تشف آراءهم عن سعة اطلاع وسمو فكر وبعد نظر مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العلمية والتدقيقات الاخلاقية

قال الصاحب : أرى أن الجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية الموقع الاول وقد أصابت على أن السياسة الادارية أيضا جديرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف

قال الأمير لاشك أن السياسة الادارية مهمة أيضا وقد ابتدت الجمعية منها ولـكن رأيت أفضل وسيلة لحصول المطلوب هى رفع علة

الفتور حيث أنتجت مباحثاتها أن علة الفتور هى الخلل الدينى بناء عليه حولت اهتمامها لجهة العلة حتى اذا زالت العلة عاد المعلول ومع ذلك لم يترك السيد الفراتى فى فصل الاسباب الادارية شيئا من أمهات أصول الادارة إلا وأشار اليه بما يغنى عن تفصيله

قال الصاحب أليس بعض الاعضاء كالعالم النجدى والمجتهد التبريزى قد أسهب كثيرا بما كان بعضه يكفى عن باقيه

قال الامير ان مسألتى التوحيد والاستهداء ركنان مهمان فى الدين وقد تطرق اليهما الخلل منذ قرون كثيرة فصار اصلاحهما وردهما إلى أصلهما من أصعب الامور وفى مثل ذلك لابد من الاسهاب فى البحث والتعميق فيه أولا يرى ولله المثل الاعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب فى تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبى دون التقليد

قال الصاحب انى أرى أيضا بعض مكررات فى المذاكرات خلافا لما قاله السيد الفراتى ولذلك لو اهتم ذو غيرة فى اختصارها يكون حسنا

قال الامير انى لا أوافقك على هذا أيضا لانك اذا دققت النظر لاتجد مكررات انما هى آراء فلا بد أن يعاد فيها بعض ماسبق وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ماوقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه وانى أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أن جاءت مباحثها متسلسلة

مترقية فكل موضوع فيما يتلوه ماهو أهم منه فلا يمل منها سامع ولا مطالع

قال الصاحب ماهو رأى مولانا الامير فى القانون الموضوع لاجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين هل هو قانون محكم الترتيب وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمنتظرة

قال الامير القانون هو أهم ما أثمرته الجمعية وقابل الاجراء مع الصعوبة

قال الصاحب لا أدرى هل أصابت الجمعية أم أخطأت فى تعليق أكبر أملها فى اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها العظام

قال الامير لا يفوتك أن مطمح نظر الجمعية منحصر فى النهضة الدينية فقط وتؤمل أن يأتى الانتظام السياسى تبعا للدين ولا شك أنه لا يقوم بالهدى الدينى و يغار على الدين أمة مثل العرب

قال الصاحب أليس دولة راسخة الملك ادارة وعسكرية وسياسة وافرة القوى مالا وعدة و رجالا تكون أقدر على تمحيص الدين واعزازه من العرب الضعفاء من كل وجه . وحيث قد الفت الأمة سماع لقب خدمة الحرمين قديما ولقب الخلافة أخيرا فى حضرة السلطان العثمانى فلا تستنكف عن الاذعان الدينى له بسهولة

قال الأمير ان حضرة السلطان المعظم يصلح أن يكون عضدا عظيما فى الأمر أما اذا أراد أن يكون هو القائم به فلا يتم قطعيا لأن الدين شىء والملك شىء آخر والسلطان غير الدولة

قال الصاحب . مافهمت المراد من أن الدين غير الدولة فهل يتفضل مولاى الأمير بايضاح ذلك

قال الأمير . أريد أن احترام الشعائر الدينية فى أكثر ملوك آل عثمان هى ظواهر محضة وليس من غرضهم بل ولا من شانهم أن يقدموا الاهتمام بالدين على مصلحة الملك وهذا مرادى بان الدين غير الملك وعلى فرض ارادتهم تقديم الدين على الملك لايقدرون على ذلك ولاتساعدهم الظروف المحيطة بهم حيث دولهم مؤلفة من لفيف أهل أديان ونحل مختلفة كما أن الهيئة التى تتشكل منها الدولة أعنى الوزراء هم كذلك لفيف مختلف الأديان والجنسيات وهذا مرادى بان السلطان غير الدولة . بناء عليه خدمة الحرمين ولقب الخلافة و رسوخ الملك ووفرة القوى كلها لاتكفى للمرجعية فى الدين نعم اذا بذل آل عثمان العظام قوتهم فى تعضيد وتاييد من يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم

قال الصاحب . قد وجد فى هذا البيت الكريم بعض أعاظم خدموا أعزاز الدين خدما كبيرة كالسلطان محمد الفاتح والسلطان ياوز سليم والسلطان سليمان والسلطان محمود والسلطان الحالى المعظم فهم أولى وأجدر بالخلافة من غيرهم

قال الأمير . أرجوك أن لاتنظر للمسألة بنظر العوام بل بنظر

حكيم سياسي فابعد النظر ماضيا ومستقبلا وقلب صفحات التاريخ بدقة تجد أن ادارة الدين وادارة الملك لم تتحدا فى الاسلام تماما الافى عهد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبـد العزيز فقط رضى الله عنهم واتحدتا نوعا فى الامويين والعباسيين ثم افترقت الخـلافة عن الملك وأما سلاطين آل عثمان الفخام فانى اذ كر لك انموذجا من أعمال لهم أتوها رعاية للملك وان كانت مصادمة للدين فاقول هذا السلطان محمد الفاتح وهو أفضل آل عثمان قد قدم الملك على الدين فاتفق سرا مع (فرديناند) ملك (الاراغون) الاسبانيولى ثم مع زوجته (ايزايلا) على تمكينهما من ازالة ملك بنى الأحمر آخر الدول العربية فى الأندلس ورضى بالقتل العام والا كراه على التنصر بالاحراق وضياع خمسة مليونا من المسلمين باعانتهما باشغاله أساطيل افريقيا عن نجدة المسلمين وقد فعل ذلك بمقابلة ماقامت لهبه روما من خذلان الامبراطورية الشرقية عند مهاجمته مكدونيا ثم القسطنطينية . وهذا السلطان سليم غدر بآل العباس واستقصاهم حتى انه قتل الامهات لاجل الأجنة وبينما كان هو يقتل العرب فى الشرق كان الاسبانيون يحرقون بقيتهم فى الاندلس وهذا السلطان سليمان ضايق ايران حتى ألجأهم الى اعلان الرفض المكفر . ثم لم يقبل العثمانيون تكليف نادرشاه لرفع التفرقة بمجرد تصديق مذهب الامام جعفر كما لم

يقبلوا من أشرف خان الأفغانى اقتسام فارس كى لا يجاورهم ملك سنى . وقد سعوا فى انقراض خمسة عشر دولة وحكومة اسلامية ومنها انهم أغروا وأعانوا الروس على التاتار المسلمين وهولاندة على الجاوة والهنديين . وتعاقبوا على تدويخ اليمن فاهلكوا الى الآن عشرات ملايين من المسلمين يقتلون بعضهم بعضا لايحترمون فيما بينهم دينا ولا اخوة ولا مروءة ولا انسانية حتى ان العسكر العثمانى باغت المسلمين مرة فى صنعاء والزبيد وهم فى صلاة العيد

وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كسوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عمت أو كادت ولم يشأ الاتراك ان يغيروا منها الا كمام رعاية للدين لانها مانعة من الوضوء او معسرة له . وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيدات ادارة ملكه اباحة الربا والخمور وابطال الحدود . ورأى مصلحة فى قهر الاشراف واذلال السادات بالغاء نفوذ النقابات ففعل .

وفى هذا المقدار كفاية ايضاح لقاعدة ان مؤيدات الملك عند السلاطين مقدم على محافظة الدين . اما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب الخلافة فهذا كذلك لايفيد الدين واهله شيئاً وليس له مايتوهم البعض من الاجلال عند الاجانب(١)

(١) الاجانب لايتفوهون بان السلطان خليفة الا عندما يريدون أن يقيموا الحجة على المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله فى ملكه

ولو ان حضرة السلطان المعظم اخذ عليه تأييد الدين بما أمده الله به من القوة المادية بدون استناد الى صبغة معنوية لتمكن من ان يخدم دينه وملكه حقا خدما مقبولة عند الله ورسوله مشكورة عند المؤمنين كافة ولرفعت له راية الحمد فى شرق الارض وغربها واحترمه الابيض والاحمر وعظمه المسلم والكافر . واظنه قد قرب اليوم الذى يتنبه فيه فيتروى فى الامر فيعدل عن الاعتماد على غير الماديات ويضرب على فم بعض الغشاشين المتملقين الخائنين الذين ينسبون حضرته الى مالم ينتسب هو اليه ويشيعون عنه دعوى ما ادعاها قط أحد من أجداده العظام بوجه رسمى.

وهؤلاء الغشاشون يغرون حضرة السلطان على هذه الدعوى بما يهرفون به عليه وبما يؤلفونه هم وأعوانهم من الكتب والرسائل التى يعزون بعضها لانفسهم وبعضها لغيرهم من المنافقين أولاسماء يتمنون أو كتب يختلقونها فيجعلون تارة آل عثمان العظام يتصلون نسبا بعثمان بن عفان رضى الله عنه وأخرى يرفعون نسبهم الى اعالى قريش ويعطونهم حق الخلافة مرة بالفراغة من العباسيين واخرى بالاستحقاق والوراثة وآونة بالعهد واخرى بالبيعة العامة وحينا بخدمة الحرمين الشريفين ووقتاً بحفظ المخلفات النبوية وكان هؤلاء الغشاشين يريدون بهذه الدسائس أن يجعلوا حضرة السلطان

نظيرهم دعى نصب كاذب كدعواهم لانفسهم السيادة ومتسنم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانية فى انفسهم وآبائهم وأجدادهم فيحشون فى تلك المؤلفات انسابا انتحلوها لانفسهم مقرونة بنسب حضرة السلطان ويستطردون لحكايات كرامات لاجدادهم ملفقة مخترعة لايعترفها لهم احد من المسلمين يدسونها بين حكايات وقائع الخلفاء والسلاطين

ومن المعلوم عند أهل الوقوف أن التقلب بالخلافة والامامة الكبرى أوامارة المؤمنين فى آل عثمان العظام حدث فى عهد المرحوم السلطان محمود حيث صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً تفنناً فى الاجلال وغلوا فى التعظيم ثم توسع استعمال هذه الألقاب فى عهد ابنيه وحفيديه الى أن بلغ مابلغه اليوم بسعى أولئك الغشاشين الذين يدفعون ويقودون حضرة السلطان الحالى للتنازل عن حقوق راسخة سلطانية لأجل عنوان خلافة وهمية مقيدة فى وضعها بشرائط ثقيلة لاتلائم أحوال الملك ومعرضة بطبعها للقلقلة والانتزاع والخطر العظيم ولذلك حضرات السلاطين أنفسهم لم يزالوا الى الآن متحفظين عن التقلب بالخلافة رسمياً فى منشوراتهم ومسكوكاتهم إنما تمضغها أفواه البعض فيلوكها التركى تعظيما لقومه والعربى نفاقا لسلطانه والمصرى اتباعاً للمرائين والهندى اعتزازا بالوهم

والأجنبي هزؤا ومكرا بخلاف حضرات سلطان مراكش وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين فى هذا المقام وسيما المتقاطعين لأجله على أنهم قد شعروا أو كادوا يشعرون بضررهم السياسى فى ذلك ولا نعلم متى يخلق الله من يسعى فى اقناعهم جميعا بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسى ومراسم التشريفات والمخاطبات وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وأمراء كما آل اليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارزمية والديلم والأيوبيين وغيرهم

ثم قال الامير وقد حملتنى اشارات السيد الفراتى فى كلامه على الجامعة الدينية تحت لواء الخلافة ان أفتكر فى القواعد الأساسية التى ينبغى ان يبنى عليها ذلك فلاح لى ماقيدته فى هذه المفكرة واخرج من جيبه ورقة قرأها وعند ختام تلاها نسختها منه وصورتها

(١) اقامة خليفة عربى قرشى مستجمع للشرائط فى مكة

(٢) يكون حكم الخليفة سياسة مقصورا على الخطة الحجازية ومربوطاً بشورى خاصة حجازية

(٣) الخليفة ينيب عنه من يترأس هيئة شورى عامة اسلامية

(٤) تتشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين مندوبين من قبل جميع السلطنات والامارات الاسلامية وتكون

وظائفها منحصرة فى شؤون السياسة العامة الدينية فقط

(٥) تجتمع الشورى العامة مدة شهرين فى كل سنة قبيل موسم الحج

(٦) مركز الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم الشتاء والطائف فى موسم الصيف

(٧) تقترع الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ويعينه الخليفة

(٨) تعين وظائف الشورى العامة بقانون مخصوص تضعه هى ويصدق عليه من قبل السلطنات والامارات

(٩) ترتبط بيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع بناء اذا تعدى شرطاً منها ترتفع بيعته وفى كل ثلاث سنين يعاد تجديد البيعة

(١٠) انتخاب الخليفة يكون منوطا بهيئة الشورى العامة

(١١) الخليفة يبلغ قرارات الشورى ويراقب تنفيذها

(١٢) الخليفة لا يتداخل فى شيء من الشؤون السياسية والادارية فى السلطنات والامارات قطعيا

(١٣) الخليفة يصدق على توليات السلاطين والأمراء التى تجرى احتراما للشرع على حسب أصولهم القديمة فى وراثاتهم للولاية

(١٤) الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقا ويذكر اسمه فى الخطبة قبل اسماء السلاطين ولا يذكر فى المسكوكات

١٥ يناط حفظ الأمن فى الخطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من الفين الى ثلاثة آلاف من جنود مختلطة ترسل من قبل جميع السلطنات والامارات

١٦ تكون القيادة العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قبل احدى الامارات الصغيرة

١٧ يكون القائد تحت أمر هيئة الشورى مدة انعقادها

١٨ هيئة الشورى تكون تحت حماية الجنود المختلطة

أما وظائف الشورى العامة فيقتضى ان لاتخرج عن تمحيص امهات المسائل الدينية التى لها تعلق مهم فى سياسة الامةوتأثيرقوى فى اخلاقها ونشاطها - وذلك

مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصا للشريعة وتيسيرا للدين وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعاً لمقتضيات الحكمة الزمانية

وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من ارشاداتها وان كانت غير مسلمة وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

وكفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس وسد باب اضاعة الاوقاف بالعبث ونحو ذلك من امهات المنجيات والمهالك

ثم قال الامير وبمثل هذا الترتيب تنحل مشكلة الخلافة ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقتبس ترتيبه من قواعد اتحاد الألمانيين والامريكانيين مع الملاحظات الخاصة . وبذلك تامن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية فتتفرغ للترقي في المعارف والعمران والثروة والقوة مما لا بد منه للنجاة من المهات . وما أنسب أن تبدأ بهكذا اتحاد امارات الجزيرة

قال الصاحب يستشف من ظاهر فكر مولاى الأمير أنه لا يجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في أمر الخلافة علاوة على السلطنة

قال الأمير اني أحب العثمانيين للطف شمائلهم وتعظيمهم الشعائر الدينية ولكن النصيحة للدين تستلزم قول الحق وعندي ان حضرات آل عثمان العظام أنفسهم اذا تدبروا لا يجدوا وسيلة لتجديد حياتهم السياسية افضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي

قال الصاحب اخبرني أيها الامير أحد أعضاء الجمعية أنه لما رأى السيد الفراتي يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين واستمالة الجمعية عليهم لاهم ذكر له مرة ذلك متلوما وقال له ألا ينبغي ستر أحوالهم والمدافعة عنهم لانهم أعظم دولة اسلامية موجودة فأجابه بان ذلك كذلك لولا كان فيه تغرير المسلمين وتركهم متكلين على دولة ما توفقت لنفع

الاسلامية بشيء فى عز شبابها بل اضرتها بمحو الخلافة العباسية المجمع عليها وتخريب ما بناه العرب وافناء الأمة بفتوحاتها شرق أوربا ومدافعاتها عنه وانه لايقصد بكشف الحقيقة واظهارها غير ازالة الغرور والاتكال المستوليين على جماهير المسلمين بسبب عدم التأمل .

ثم قال له :

أليس الترك قد تركوا الأمة أربعة قرون ولا خليفة وتركوا الدين تعبث به الأهواء ولامرجع وتركوا المسلمين صما بكما عميا ولامرشد

أليس الترك قد تركوا الأندلس مبادلة وتركوا الهند مساهلة وتركوا الممالك الجسيمة الآسوية للروسيين وتركوا قارة أفريقيا الأسلامية للطامعين وتركوا المداخلة فى الصين كأنهم الأبعدون .

أليس الترك قد تركوا وفود الملتجين يعودون خائبين وتركوا المستنصرين بهم عرضة للمنتقمين وتركوا ثلثى ملكهم طعمة للمتغلبين

فهل والحالة هذه ما آن لهم أن يستيقظوا ويصبحوا من النادمين على مافرطوا فى القرون الخالية فيتركون الخلافة لأهلها والدين لحماته وهم يحتفظون على بقيـة سلطنتهم ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين وبذلك يتقون الله فى الاسلام .

وقال أيضا انه غير متعصب للعرب وانمـا يرى مالابد أن يراه

كل حر مدقق يتفحص الامر من أن الغيرة على الدين وأهله والاستعداد لتجديد عز الاسلام منحصران فى أهل البدوية من العرب حيث يرى أن المشيئة الالهية قد حفظتهم من تلك الأمراض الأخلاقية التى لادواء لها . كفالج الحرية فى الحواضر باعتقاد أهلها أنهم خلقوا أنعاما للأمراء وكجذام التربية فى المدن بوضعهم النساء فى مقام روابط للاستمتاع وكطاعون الحياة فى بعض الاقوام بألفتهم اللواط المميت للأخلاق الشريفة دفعة الذى جزى الله أهله بخسف الارض بهم تطهيرا لها منهم وكوباء النشاط فى أهل الأراضى الخصبة حيث يسهل أن يغتنوا فيبطروا فتفسد أخلاقهم فيخسرون الدنيا والآخرة .

قال الامير نعم الرأى ونعم التدقيق

قال الصاحب ان ماذكر مولاى من حصر صفة الخلافة فى خليفة قرشى فى مكة ترتبط به جميع السلطنات والأمارات الاسلامية ارتباطا دينيا وماوصف من تشكيل الشورى العامة المؤيدة لهذا الارتباط الدينى لأمر عظيم جدا . والغالب أن الدول المسيحية التى لها رعايا من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تتحذر من أن يجر جمع الكلمة الدينية الى رابطه سياسية تولد حروبا دينية فتعمد هذه الدول الى عمل الدسائس والوسائل لمنع حصول هذا الارتباط أساسا فما هو التدبير الذى يقتضى اتخاذه امام تحذر الدول مايأتى وذلك

قال الامير . لايفتكر هذا الفكر غير الفاتيكان وأحزابه الحزو بت وأمثالهم أما رجال السياسة فى انكلترا وروسيا وفرانسا وهى الدول العظام التى يهمها الافتكار فى هذا الشأن فقد علمتهم التجارب النتائج الماتية وهى

(١) أن المسلمين لاينتصرون أبدا لاسيما فى زمان يبتعد فيه النصارى عن نصرانيتهم

(٢) ان المسلمين المتنورين ازدادوا جموعا ابعد عن التعصب من الجاهلين

(٣) ان العرب من المسلمين اقرب من غيرهم للالفة وحسن المعاملة والثبات على العهد

فاذا أرشد أولئك السياسيون لان يضموا الى معرفتهم هذه علمهم أيضا بالاحكام الاسلامية فى مسألة الجهاد التى يتهيبونها علما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لا من مؤلفات متعصبي الطرفين حيث يجدون نحوا من خمسين آية باساليب شتى كلها تنهى عن الالحاح فى الهداية الى الدين فضلا عن التشديد والالزام بالقتال كقوله تعالى (انك لاتهدى من أحببت) و (جادلهم بالتى هى أحسن) و (ما أنت عليهم بمسيطر) ويجدون آيتين فى التشديد احداهما (فاصدع بما تؤمر) والأخرى (وجاهدوا فى سبيل الله)

وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون أنهما نزلتا فى حق المشركين والكتابيين من العرب ولا يوجد فى القرآن ملزم لاعتبار عمومية حكمهما

واذا دققوا البحث يجدون أن ليس فى علماء الاسلام مطلقا من يحصر معنى الجهاد فى سبيل الله فى مجرد محاربة غير المسلمين بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا حتى الكسب لاجل العيال يسمى جهادا.

وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنيا على ارادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حين كان مجال الفتوحات كما أعطى اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التى أصلى نارها المسيحيون.

ثم بعطف نظرهم الى التاريخ يجدون أن العرب منذ سبعة قرون لم ياتوا حربا باسم الجهاد وما كانت تعديات أساطيل أمارات الغرب الا من قبيل القرصان الذى كان مالوفا عند جميع أمارات الارخبيلين الصقلى واليونانى وكلهم نصارى. أما غارات التاتار على شمال أوروبا وغارات الترك على شرقها فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينية وانما هى من ملحقات غارات البرابرة الشماليين على أوروبا ويجدون انهم كما غاروا على أوروبا غاروا على البلاد الاسلامية ثم أسلم التاتار وحسنت اخلاقهم

أما الترك فاذا دقق الاوربا ويون سياستهم يجدونهم لا يقصدون

بالاستنادللدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة وارهاب أوروبا باسم الخلافة واسم الرأى العام · وعدم اشتراك البلاد العربية فى المذابح الارمنية الأخيرة برهان كاف على أن الاسلاميه فى معزل عن المجافاة لأن العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به · وقد يندهش الاوربيون اذا علموا أن السياسة التركية لم يوافقها أن تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على أن أصل الاسلامية لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم الألفة وذلك بان العرب أينما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم كما أنهم لم ينفروا من الامم التى حلت بلادهم وحكمتهم فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الأتراك بل يعتبرون دخولهم تحت سلطه غيرهم من حكم الله لأنهم يذعنون بكلمة ربهم تعالى شأنه (تلك الايام نداولها بين الناس)

فاذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لايتحذرون من الخلافة العربية بل يرون من صوالحهم الخصوصية وصوالح النصرانية وصوالح الانسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محدودة السطوة مربوطة بالشورى على النسق الذى قرأته عليك

ثم على فرض أن بعض الدول ولو المسلمة أرادت عرقلة هذا

الأمر فهى لا تقوى عليه لأن أفكار الأمم لا تقاوم ولا تصادم على أنى لا أظن بتشل فرانسا أن تتخدع لرأى أنصار الجزويت لاسيما بعد أن تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسلمين فابقت لتونس أميرها فاستراحت مما عانته قبلا من الجزائر بسبب السياسة التعصبية الخرقاء

قال الصاحب : أستشف من كلام مولاى الأمير ان أمله ضعيف فى تشكيل جمعية تعليم الموحدين مع أنه مستصحب باتقان التدبير .

قال الأمير : ان دون تشكيل الجمعية بعض عوائق مالية فقط لا غير وأرجو الله تعالى أن يزيلها

قال الصاحب : انى جاهد فى الوقوف على خبر السيد الفراتى ولعلى أظفر بمعرفته فاجتمع به أو أكاتبه فهل لمولاى الأمير رأى أو أمر أبلغه اياه اذا ظفرت به .

قال الأمير : نعم اذا ظفرت بمعرفته فاقرئه منى السلام وبلغه عنى هذه الجمل وهى أنى اثنى على صدق عزيمته . وعلى حسن انتخابه رفقائه وأوصيه بالثبات والاقدام ولو طال المطال . وأن يحرص على ابقاء علاقته مع أعضاء جمعية أم القرى واستمراره على مكاتبتهم . وأن لا يقنط من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراكش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان لا سيما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحدين ورسوخها .

قال الصاحب : اذا ظفرت به ان شاء الله أبشره بتحية مولاى الأمير وأبلغه كل ما أمر به .

انتهت المحاوره

(يقول السيد الفراتى) قد ألحقت هذه المحاورة بسجل المذاكرات وكتبت بها الى باقى الاخوان وذلك تنويها بشان حضرة الأمير المشار اليه وشكرا على غيرته وتصميراته وافتخارا بحسن ظنه ونظره فى هذا العاجز وتبشيرا لجنابه وللمسلمين بان جمعية أم القرى قد أحكم تصورها وتاسيسها فهى بعناية الحى القيوم الأبدى حية قائمة أبدا

فهرس

(أكثر المباحث المهمة الواردة في سجل المذاكرات)

صحيفة		بعض الاعضاء
٤	أسباب تشكيل الجمعية	السيد الفراتي
٥	كيفية تشكيل الجمعية	«
٦	(الاجتماع الأول)	
٧	صورة المذاكرات	«
١٠	تاريخ الانحطاط والانتباه الأخير	الاستاذ المكي
١٢	الاكتتام. والرجوع لمذهب السلف	«
١٣	الاسلامية في جزيرة العرب ، مرتبة تحقيق الأئمة	«
١٥	قوة الامل في النهضة الدينية	«
١٦	وجود الاكفاء . والاعتماد على الجمعيات	«
١٧	برنامج مباحث الجمعية	«
١٩	(الاجتماع الثاني)	
١٩	شمول الفتور لكافة المسلمين	«
٢٠	يوجد من هم أحط من المسلمين	الصاحب الهندي
٢٢	لا يوجد من لا يدين بدين	«
٢٢	تكون الشؤون على حسب الدين	«

صحيفة

صحيفة		
٢٣	عقيدة الجبر وعدم تأثيرها	الفاضل الشامى
٢٥	ماهو الزهد فى الاسلام	البليغ القدسى
٢٦	حق الولاة فى الهداية للدين	«
٢٦	تبدل نوع السياسة . والتفرق فى الدين	«
٢٧	غلبة الاخلاق الجندية	«
٢٧	جهل الامراء وحرصهم على الاستبداد	الحكيم التونسى
٢٨	ماهى الحرية ، ماهى اهميتها	المولى الرومى
٢٩	سبب الاخلاد للخمول والملهيات	«
٣١	عدم شعور الهندى والمصرى بآلام غيره	المجتهد التبريزى
٣١	ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . سهولة ازالة المنكر	
٣٢	فقد الاحتساب باستيلاء الدخلاء ، ماهى الطاعة لاولى الأمر	
٣٣	السلطان الكافر العادل أم المسلم الظالم	
٣٥	انحلال الرابطة الرؤساء	المحقق المدنى
٣٥	العلماء المدلسين وافسادهم الدين	«
٣٦	مأخذ البدع الدينية من النصرانية وغيرها	«
٣٧	الميل العام للبدع والتصوف	«
٣٩	تمكن الاوهام فى الامراء والعواصم وما هو السحر	«
٤٠	فقد العلماء وضياع الدين	المولى الرومى
٤٠	العلماء الرسميون	«
٤١	(الاجتماع الثالث)	
٤٢	اختصاص القضاء بالجهلاء . الالقاب العلمية والسلطانية	

صحيفة		
٤٣	مجاهرة العلماء بمخالفة الدين ، تولية الخدم الدينية للجهلاء	
٤٤	هدم قواعد الدين على يد العلماء	»
٤٥	الامراء والشورى . وفقر العلماء	»
٤٦	اقتصار التعليم على بعض العلوم	الرياضي الكردي
٥٠	تقصير الوعاظ والخطباء والمرشدين فى وظائفهم	
٥١	اليأس من المباراة واللحاق ، فقد السراة والجمعيات	
٥٢	استحكام الجهل بسبب الفقر	الفقيه الأفغاني
٥٣	المعيشة الاشتراكية الاسلامية	السعيد الانكليزى
٥٤	الاجتماعات والمفاوضات	»
٥٧	حكماء الأمة ووظائفهم	الامام الصيني
٥٨	الشورى فى الاسلام	»
٦٠	الدين ليس مابه تدين	العالم النجدى
٦٢	تطرق الشرك وشؤمه	
٦٥	(الاجتماع الرابع)	
٦٧	ماهو الدين	
٧٠	ماهو الاسلام والتوحيد	»
٧١	موارد الشرك	
٧٢	التوحيد أساس الحرية	»
٧٣	ماهو الشرك . ماهو التوحيد	العالم النجدى
٧٧	مصارع الشرك والمقابريين	
٧٨	متصوفة الزمان	
٨٢	التشديد والتشويش فى الدين	»

صحيفة

صحيفة	الموضوع	المتكلم
٨٦	الشافعية والصوفية	العالم النجدى
٨٨	الدين فى جزيرة العرب	»
٩١	(الاجتماع الخامس)	
٩١	تشكيل لجنة القانون	
٩٢	المهتدون جديدا والاستهداء	السعيد الانكليزى
٩٣	البروتستانت والزنادقة	
٩٤	ماالكتاب . وماالسنة	
٩٥	اسباب الاختلافات الاجتهادية	العالم النجدى
٩٧	اسباب نسخ بعض الاحكام	»
٩٨	هل من وسيلة لرفع التفرق	»
٩٩	تسهيل تعليم الاحكام	العلامة المصرى
١٠١	الدين فى اليمن ومايليه	المحدث اليمنى
١٠٢	العلم الكافى للاجتهاد	»
١٠٣	طريقة الاستهداء فى اليمن	
١٠٤	الافتاء فى اليمن	»
١٠٥	ليس فى المجتهدين من جوز التقليد	
١٠٦	تسهيل المتقدمين الاستهداء	
١٠٧	جواز تقليد الغير	
١١٠	(الاجتماع السادس)	
١١١	الطريقة النقشبندية	الشيخ السندى
١١٤	دواعى الميل الى الطرايق . تشديدات الفقهاء	»
١١٥	التصوف الباطل والعرفان	»

صفحة

صفحة	الموضوع	المتكلم
١١٦	تاريخ التصوف	الاستاذ المكى
١١٧	المفتى والمستشرق فى الاستهداء	الخطيب القازانى
١٢٠	التقليد والوثوق بالمتقدمين	«
١٢٣	تأثيرات التشديد والتشويش	«
١٢٤	مزايا السماحة فى الدين وسمو حكمة القرآن	«
١٢٥	سمو الحكمة النبوية	«
١٢٦	قيام المستشرقين بتعليم الدين	«
١٢٨	الجدل فى العقائد والفقه	المجتهد التبريزى
١٣٠	التفريق فى الدين	
١٣١	الاجتهاد عند علماء فارس	«
١٣٢	التلفيق والتوفيق فى الاجتهاديات	«
١٣٥	الحيل الشرعية ومقامتها	«
١٣٥	توفيق الأحكام على مقتضيات الزمان	المجتهد التبريزى
١٣٦	﴿الاجتماع السابع﴾	
١٣٧	تلخيص أسباب الفتور	السيد الفراتى
١٣٨	الأسباب الدينية	«
١٣٩	الأسباب السياسية	«
١٤١	الاسباب الاخلاقية	«
١٤٣	الاسباب السياسية والادارية الجارية فى المملكة العثمانية	«
١٤٣	الاستقلال النوعى والادارى	«
١٤٤	بخس العرب حقوقهم	«
١٤٥	اهمال رعاية الشرع	«

صحيفة		
١٤٨	حالة الادارة فى الحجاز	السيد الفراتى
١٤٩	أسباب شتى للفتور	«
١٤٩	تطابق الأخلاق بين الرعية والرعاة	«
١٥٠	نفور الترك من العرب	«
١٥٢	﴿الاجتماع الثامن﴾	«
١٥٣	الغرارة بفقد المرشدين	«
١٥٤	الغرارة عن الاتقان	«
١٥٥	الغرور بالمقدرة	«
١٥٦	اللوث فى الأمور	«
١٥٧	جهل النساء وتأثيراته	«
١٥٩	رعاية الكفاءة فى النساء	«
١٦٠	الخور فى الطبيعة	«
١٦١	الواهنة والناشئة	«
١٦٢	الناشئة المحمديون	«
١٦٣	الناشئة المتفرنجون	«
١٦٤	وسيلة التغلب على الواهنة	«
١٦٦	﴿الاجتماع التاسع والعاشر والحادى عشر﴾	
١٦٨	﴿الاجتماع الثانى عشر﴾	
١٦٨	قانون جمعية تعليم الموحدين . المقدمة والمقررات	
١٦٩	الفصل الأول فى تشكيل الجمعية	
١٧٤	الفصل الثانى فى مبانى الجمعية	

صحيفة
١٧٦ الفصل الثالث فى مالية الجمعية
١٧٨ الفصل الرابع فى وظائف الجمعية
١٨٦ خاتمة القانون
١٨٧ المفاوضات الاخيرة
١٨٨ الجمعية ومصر وامراؤها
١٩١ ابيات للاديب الهروتى

ذيـــل

١٩٢ خصائص الاقوام
١٩٣ مزايا جزيرة العرب
١٩٤ مزايا عرب الجزيرة
١٩٥ مزايا العرب عموما

لاحقـــة

١٩٨ محاورة بين الصاحب الهندى والامير فى انتقاد المذاكرات
٢٠٢ حصرات ملوك آل عثمان والنهضة الدينية
٢٠٤ تقديم الملك على الدين
٢٠٥ دعوى الخلافة حديثا والمشاسون
٢٠٧ اقامة خلافة قرشية دينية فى مكة المكرمة
٢٠٨ وظائف الشورى العامة
٢١١ الترك والخلافة
٢١٢ الخلافة العربية وبعض اصول المسيحية

تم الفهرس

المطبعة المصرية بالأزهر
ادارة محمد محمد عبد اللطيف

٢٠٨ / ٣٠٠٠ / ١٠ / ٢٩٤،١